تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

قانون التغيير

د. محمد راتب النابلسي — ص 4

إدراك المحبة رهين بتطهير القلب من الخطايا

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى — ص 5

حلاوة المرافعة عن الدعوة

المفضل فلواتي رحمه الله تعالى — ص 2

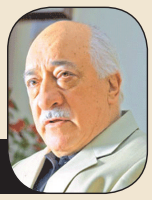

أسس مهمة في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

ذ. محمد فتح الله كولن — ص 6

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المفضل فلواتي
المدير المؤسس

المحجة

العدد: 363

جامعة نصف شهرية
الثمن: 5 دراهم

المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
17 رجب 1432هـ - 19 يونيو 2011م

ملحق خاص

ص: 9 - 16

قضايا تربوية

- **استنهاض الهمم ونهضة الأمم** — د. الطيب الوزاني — ص 17
- **رسائل على طريق النهوض** — ذ. أحمد طاهر أبو عمر — ص 18
- **الدعوة الصامتة: واجبة على كل مسلم** — ذ. عبد القادر محمد دغوتي — ص 19
- **الاجتهاد الفقهي والمعرفي وقود التجديد الحضاري الإسلامي** — ذ.عبد المجيد بلبصير — ص 7

قضايا من الواقع

- **الدستور الجديد وسؤال الهوية** — عبد الرحمن غربي — ص 23
- **الصورة الفاضحة في وسائل الإعلام** — عبد الكريم القلالي — ص 19

التمويلات البنكية البديلة بالمغرب: الواقع والتحديات

د. محمد الوردي — ص 8

...واعملوا صالحا

العمل هو فعل في الواقع يحدث تغييرا وقد يكون خيرا وقد يكون شرا، كما يكون هذا الفعل يؤسس للخير ويجلبه، أو يقاوم الشر ويدفعه، كما يمكن أن يكون شرا، يؤسس للشر ويزاحم الخير ويمنعه. ولا يكون العمل إلا تغييرا في اتجاه الخير أو في اتجاه الشر، ولذلك كان عمل الخير بناء وعمرانا، وعمل الشر هدما وتخريبا وعدوانا.

والأصل في كل ما خلق الله أنه على الخير والصلاح حتى يحدث ما يغيره، فالفساد طارئ وعارض، إما من جهة الموجودات ذاتها من حيث قابليتها الذاتية والتكوينية للفساد والتحول، وإما من جهة فعل الإنسان الذي يمكن أن يقوم بفعل فيه نوع من التغيير من حالة الخير والصلاح إلى حالة الفساد أو العكس.

ولما كان كل ما خلق الله يتسم بالخيرية والصلاح والإبداع والإتقان والجمال فكان مطلوبا من كل فعل أو عمل يحدثه الإنسان أن يكون على وزان الفعل الإلهي من حيث الصلاح والخير ودقة الإتقان والجمال في حدود الطاقة البشرية. وقد عرف العلماء العمل الصالح بقولهم : ما جمع الإخلاص والصواب، أي كان على مقتضى الشرع من حيث الإخلاص لله واتباع السنة، وكل فعل خرج عن هذين الشرطين كان إلى الفساد والإفساد أقرب، وبالذم والتحريم أحق.

ولما كان الإنسان هو المخلوق الوحيد في عالم الدنيا الذي منحه الله جل وعلا القدرة على الفعل والتأثير، وابتلاه بتكليفه بالعمل الصالح وإعمار الأرض بالخير، قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾(الملك:2)، ومنحه إلى جانب ذلك القدرة على الاختيار والحرية والإرادة بين الخير والشر، والصلاح والفساد، ورتب على ذلك الجزاء وفق قانون عادل: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾(الزلزلة: 8- 9)

وجعل الله العمل الصالح ميزان الإعمار الصالح، والعمل الفاسد السيئ معيار الإعمار الفاسد، فأمر بالأول ونهى عن الثاني، ورتب التفاضل بين الأفراد والأمم والشعوب على قانون التفاوت في مراتب الأعمال، فأهل العمل الخير يفضلون أصحاب العمل السيئ مطلقا: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾(القلم:35- 36)، ويتفاضل أهل الخير بينهم في الدنيا والآخرة درجات، كما يتفاوت أهل الشر بينهم دركات.

وليس شيء مما يتقرب به إلى الله جل وعلا أفضل من العمل الصالح سواء أكان عملا قلبيا(الإيمان بالله والاعتقاد بكل ما أخبر به)، أم كان عمل الجوارح والأعضاء (السلوك الحسن مع الخالق الرازق أولا ثم مع سائر خلق الله ثانيا:كل بحسب قدره وحكمه : الإنسان، فالحيوان، فالبيئة).

ولذلك فليس من شيء يرفع من قدر الإنسان في الدنيا والآخرة أفضل من العمل الصالح، فبه رفعت الأنبياء درجات عليا ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله، ورفع بعضهم على بعض درجات﴾(البقرة: 251)، وبه رفع الله شأن الناس والأقوام: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾(الزخرف: 31)، بل إن سنن الله في التمكين والاستخلاف والإنجاء وسننه في الإهلاك والتعذيب مرتبطة بنوع العمل خيرا وشرا.فما أهلك الله قوما إلا لفساد تصوراتهم وسوء أفعالهم، وما أنجى عبدا ولا قوما إلا لصلاحهم وإصلاحهم.

ولا تستحق أمة الإسلام وصف الخيرية والشهادة على الناس إلا بوفائها بشرط القيام بالعمل الصالح وإقامته في كل الميادين والمجالات، وعلى جميع المستويات الكلية والجزئية، الكبرى والصغرى، الفردية والجماعية.

فالأمة اليوم محتاجة إلى مضاعفة جهودها في أعمال الخير والبر ذات النفع العام والخاص، وأولى هذه الأعمال الصالحة بالاعتبار :

أولا: تربية الإنسان وبنائه بناء صحيحا وسليما، وتأهيله ليكون عنصرا إيجابيا وفاعلا للخير مبادرا وسباقا إليه، والمدخل إلى ذلك إصلاح منظومة التعليم على شروطه الإسلامية، التي اختلت موازينها في الأمة فحصل من الاضطراب والاعوجاج ما حصل وفات من الخير ما فات، فلابد من إعادة إقامة هذا الصرح على علوم الوحي أولا والتربية ثانيا، والنظر إلى علوم الإنسان وعلوم الطبيعة بميزان الوحي. ويوازي ما سبق إصلاح المنظومة الإعلامية لما أصبحت تمثله من أهمية وتأثير سلبا وإيجابا.

ثانيا: إقامة العمران البشري على مشاريع اقتصادية وسياسة صالحة ومصلحة، وإصلاح القضاء بما يحقق العدل ويضمن الحقوق والأمن والكرامة والاستقرار، فأعظم ما تبتلى به الشعوب فساد هذه المنظومات، وفسادها موذن بخراب العمران وفساد الاجتماع وتسارع عوامل الهلاك والفناء.

ثالثا: تفعيل فقه الموازنة بين الأعمال وفقه الأولويات لتحديد واجب الوقت، والعمل بالأولى والأهم والأنفع، والاشتغال بالخير والصلاح أولى من هدر الطاقات في دفع الشر والفساد، ولا يعدل عن هذه القاعدة إلا لضرورة، تقدر بقدرها وبشرطها، في ظرفها ومن أهلها.

ومما يأتي على رأس هذه الأولويات تربية الإنسان الصالح المصلح وحفظ ما فيه من خير وتنميته ورعاية مواهبه الخيرة وتأهيله ليكون خيرا صالحا مصلحا، فأهل الخير والصلاح والإصلاح هم صمام الأمان في الأمة، وهم جهاز المناعة في جسم الأمة. ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾(الكهف:105).

رابعا: الحرص على ابتغاء الحلال في المآكل والمشرب والمنكح والمسكن، وتجنب تحقير أي عمل فيه خير ولو قل، فما أحوجنا اليوم إلى الائتمار بما أمر الله به الرسل حين قال جل وعلا: "يا أيها الرسل كلوا من طيبات ما رزقناكم واعملوا صالحا"، فالطيبات من الله رزق لعباده يجب أن يقابلها العمل الصالح من العباد "واعملوا صالحا" أيا كان صغيرا أكبيرا، "ولا تحقرن من المعروف شيئا".

والخلاصة فإن العمل الصالح المصلح محرك النهوض الحضاري، وركيزة كل خير، وما قصرت أمة في هذا النوع من العمل إلا وملأ الفساد وأهله الفراغ، ولنجعل واحدا من أهم شعاراتنا ومبادئنا في حياتنا الفردية والمؤسسية: ﴿واعموا صالحا﴾ نلتزمه أفرادا وجماعات، مؤسسات وإدارات وهيئات بإخلاص وصواب.

حلاوة الدّعوة إلى الله تعالى والدفاع عنها وتصحيح مَبادئها ③

حلاوة المرافعة عن الدّعوة أمام رؤساء الدول وأعيانها في غير تلجْلُجٍ أو اضْطراب :

جعفر بن أبي طالب يترافع عن الدعوة بصدق فينصره الله

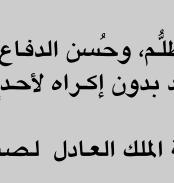

المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

لما اشتد الأذى على المسلمين بمكة، قال الرسول ﷺ لأصحابه : «لوْ خَرَجْتُم إلى أرْضِ الحَبَشَة فإنّ بها مَلكاً لا يُظْلَمُ عنْدهُ أحدٌ، وهي أرْضُ صِدْقٍ حتّى يجْعَلَ الله لكُمْ فَرَجاً مِمّا أنْتُم فيه»(1).

ولكن قريشا الكافرة والحاقدة لم تترك المسلمين ينعمون بالأمن والاستقرار في ظل ملك عادل، فأرسلتْ وفداً دبلوماسيا ماهراً في الكَيد والمكر، ومحمَّلا بالهدايا لإرشاء الملك وكل المحيطين به من رجال الدين الذين لا يتورّعُون عن بيْع الدين والمبادئ بأبخس الأثمان، وحاول الوفد ومن باعوا ذمتهم من حاشية الملك إقناعَ الملك بتسليم المسلمين لهم بدون الاستماع لهم وتكليمهم لمعرفة الحقيقة كأنهم بضاعة جامدة، وهذه هزيمة نفسية تسجّل لقريش بأنها غير قادرة على مواجهة الخصم : فكراً في مواجهة فكر، وحجةً في مقابل حجة، ومبدأ في مقابل مبدإٍ، ولكنهم -لخشيتهم من النور كالخفافيش- يحُوكون دسائسهم في ظلام المكر الخفي.

إلا أن الملك العادل أبَى أن تُخفر ذمته، ويُلعب به، فأصَرّ على معرفة حقيقة هؤلاء المُلتجئين إليه، وذلك بالاستماع إليهم، وبذلك سُقط في أيدي الوفد القرشي الماكر.

وأرسل الملك إلى هؤلاء المسلمين ليرسلوا وفداً ينوب عنهم في توضيح أمْرهم للملك، حتى يتخذ في أمْرهم القرار المناسب، فاجتمع المسلمون فيما بينهم، وتشاوروا فيما يقولونه، وفيمن يمثّلهم في المرافعة التاريخية الخالدة، فاختاروا جعفر بن أبي طالب ليتكلم نيابة عنهم.

فعندما حضروا أمام الملك وحاشيته من الأساقفة الذين نشروا مصاحفهم حوله، سألهم، فقال لهم :

ما هذا الدينُ الذي قد فارقتُم فيه قومَكم، ولم تدخُلوا به في دِيني، ولا في دين أحدٍ من هذه الملل؟!

فقال جعفر بن أبي طالب :

1) صورة عن الواقع :

«أيها الملك، كنا قوما أهْل جاهلية، نعبُد الأصنام، ونأكل الميتَةَ، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونسيء الجِوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف.. فكنا على ذلك...

2) جوهر هذا الدين :

حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسَبه، وصِدْقَه وأمانتَه، وعفَافه، فدعانا إلى الله لنوحِّدَهَ ونعبدَه، ونخلَعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحِم، وحُسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدّماء.

ونهانا عن الفواحش، وقوْل الزور، وأكل مال اليتيم، وقذْف المحصنات.

وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

(قالت أم سلمة راوية الحديث : فعدّد عليه أمور الإسلام).

3) موقفنا من الدين : الاتباع له عن اقتناع:

فصدّقناه، وآمنا به، واتّبعْناه على ما جاء به من الله(2) فعبدْنا الله وحْدَه، فلم نشرك به شيئا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحْلَلْنا ما أحلَّ لنا...

4) موقف قومنا منا العداوةُ بدون سبب :

فعَدا علينا قوْمُنا، فعذّبونا، وفتنُونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عباد الله تعالى، وأن نستحِلَّ ما كنا نستحِلُّ من الخبائث.

5) هروبنا من الافتتان بدون ضرر لقومنا :

فلما قهرونا، وظلمونا، وضيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجْنا إلى بلادك، واخْترناك على من سواك، ورغبْنا في جِوارك، ورجَوْنا ألاّ نُظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي العالم، والسياسي العاقل الفطِن : هل معَك مما جاء به عن الله من شيء؟!

فقال جعفر : نعم.

فقال النجاشي : فاقرأْ عَلَيَّ.

فقرأ عليه صَدْراً من سورة مريم (كهيعَص)

قالت أم سلمة : فبكى والله النجاشيّ حتى احضلَّتْ لحيتُه، وبكتْ أساقفتُهم حتى أخْضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تَلاَ عَلَيْهِم.

ثم قال النجاشي :

«إنَّ هَذا والذي جاءَ به عيسَى ليخْرُج من مشْكَاة واحدَة» انْطَلقا، فَلاَ والله لا أسلِمهم إليكما أبَدا(3).

تتجلى الحلاوة في :

أ- حُسْن استيعاب الواقع الجاهلي وحُسْن عَرضه.

ب- حُسْن استيعاب المبادئ الإسلامية وحُسْن عرضها.

جـ- حُسن تجلية المشكل بينهم وبين قومهم.

د- حُسن عرض التظلُّم، وحُسن الدفاع عن حقهم في حرية التعبُّد بدون إكراه لأحد، أو إذاية لأحد.

هـ- حُسن استمالة الملك العادل لصفّهم لمعرفتهم بسلامة طويته.

و- حُسْن اختيار النص القرآني المبرز لعظمة نبي الله عيسى عليه السلام في غير مغالاة ولا تأليه.

فالحكمة في حُسْن العرض، وحُسْن الأسلوب، وحُسْن إبراز المشكل، وإبراز ظُلاَمَتهم جعلتهم ينتصرون سياسياً على خصومهم، وجعلتهم يكسبون ملكا عادلا إلى صفهم، وجعلتهم يكسبون لجُوءاً سياسياً شريفاً كريما عزيزاً منيعا.

فلماذا المسلمون اليوم لا يعرفون كيف يكسبون قضاياهم في المحافل الدولية والإقليمية؟ لأنهم يفقدون الحلاوة الإيمانية التي تجعلهم يعتزون بالدين، ويعتزون بالدفاع عنه وعن المظلومين في تجرُّدٍ وحسن توكل على الله تعالى.

وعندما يعرفون واقعهم ودينهم ويحلو الإيمان في قلوبهم يرزقهم الله عز وجل السداد والتوفيق ويوتيهم الحكمة.

1- السيرة الميسرة ذ. المفضل فلواتي : 105/1

2- جاء به من الله : هذا دليل واضح على أن العرب بذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل هذا الدين لاقتناعهم التام بأنه من عند الله. ولهذا ينبغي أن يحرص الدّعاة على أن يكون ارسالهم ربانيا.

3- السيرة الميسرة 110.

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

اردوغان يقرأ الشعر الذي سجن من أجله في البرلمان التركي

بعد ما يقارب 16 عاما على قراءته للشعر الذي تسبب في سجنه مدة 10 أشهر رئيس الوزراء رجب طيب اردوغان يعود ثانية ليقرأ نفس الشعر ولكن هذه المرة في البرلمان التركي الجديد.وقوبل ذلك بتصفيق شديد من النواب أعضاء حزب العدالة والتنمية استمر لدقائق.وقد قرأ اردوغان هذا الشعر في معرض رده على انتقادات حزب الشعب الجمهوري المعارض التي دارت حول تعامل الحكومة مع النائبين المتهمين بقضية سياسية تخص أمن الدولة، ومهاجمة اردوغان بكونه كان قد سجن بقضية أمنية من قبل. حيث جاء رد اردوغان على هذه الانتقادات قوياً للغاية يحمل صيغة بليغة من التحدي. اذ شرع في قراءة ذلك الشعر الذي تسبب في سجنه وبعد أن أتمه كاملاً شرع بالقول: "لقد تعرضت الى ما تعرضت له لأجل عبارات صغيرة قلتها، فهل يعد ذلك مثل القضية التي تجري محاكمة المتهمين الحاليين بها؟ هذه قضية تخص أمن الدولة". وقد تأثرت جموع النواب الحضور للجلسة البرلمانية من قراءة اردوغان لهذا الشعر ثانية اذ شهد المجلس دقائق من التصفيق وانتصاب النواب على أرجلهم احتراما وتقديراً. فيما لفت رئيس حزب الحركة القومية دولت بهتشيلي أنظار وسائل الإعلام بتأثره بهذا الشعر وتصفيقه لأردوغان إثر قراءته.

إسرائيل" تشن حربًا تجارية على مصر

رفض الدكتور أيمن أبو حديد وزير الزراعة واستصلاح الأراضى ما نشرته الصحف "الإسرائيلية" والأمريكية مؤخرا، عن أن بذور خيار وحلبة استوردتهما اليونان وأسبانيا من مصر، هما مصدر بكتريا "أى كولاى" التى ظهرت مؤخرا فى ألمانيا.

وقال أبو حديد فى تصريحات صحفية اليوم، إن "إسرائيل" تهدف إلى تلويث سمعة الصادرات المصرية، حيث تقوم مصر بتصدير كميات كبيرة من التقاوى لمعظم دول أوروبا، ومنها أسبانيا وإيطاليا واليونان، وألمانيا، وكان من الأولى أن تعلن ألمانيا عن هذا.

وأضاف الوزير أن مصر لم تسجل أى حالات إصابة بهذا المرض حتى الآن، لافتا إلى أن صادرات مصر نظيفة وغير مصابة بأية أمراض، وأن هناك حربا تجارية تشنها إسرائيل على الصادرات المصرية، وتساءل لماذا تم الإعلان عن ذلك إذا كانت البذور مصدرة عام 2009؟

وكانت صحيفة "يديعوت أحرنوت" "الإسرائيلية"، قد نسبت إلى السلطات الأوروبية لشئون المواد الغذائية ومراقبة الأمراض، تصريحات أكدت فيها أن بكتيريا الـ"أى كولاى" التى لحقت بالخيار والخضروات مصدرها بذور خيار يونانية، تم استيرادها من مصر عامى 2009 و2010.

خطة صهيونية لاستقدام 2500 يهودي من أمريكا الشمالية

مفكرة الاسلام: كشفت منظمة صهيونية عن خطة لاستقدام 2500 مغتصب جديد من أمريكا الشمالية إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948 خلال فصل الصيف الحالي.

وقالت وكالة صفا الفلسطينية: "منظمة نيفيش بنيفيش التي تنشط في مجال استجلاب المستوطنين اليهود من أمريكا الشمالية والمملكة المتحدة إلى الأراضي المحتلة تتعاون مع ما يسمى بالوكالة اليهودية لإسرائيل ووزارة الهجرة من أجل استقدام 2500 من المستوطنين من كندا والولايات المتحدة الأمريكية خلال أشهر الصيف".

وتوقعت المنظمة الصهيونية أن تصل اليوم دفعة من هؤلاء المغتصبين تضم 245 يهوديًا.

وأطلقت هذه المنظمة في الآونة الأخيرة مشروعًا يشجع على توطين المغتصبين من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في شمالي فلسطين المحتلة حيث يعيش الفلسطينيون الذين لم يهجروا من أراضيهم عام 1948 ويسعى المشروع الذي أطلق عليه اسم اذهب شمالاً بكلفة عشرة ملايين دولار إلى توطين نحو 1500 من المغتصبين داخل المغتصبات في مناطق المثلث والجليل ومرج ابن عامر وطبريا والجولان السوري المحتل.

وتأتي هذه الخطوة الصهيونية المتمثلة في تكثيف "الاستيطان" بموازاة مصادرة الأراضي في إطار محاولات سلطات الاحتلال لتهويد المدن التاريخية الفلسطينية في الأراضي التي احتلتها عام 1948 مثل اللد والرملة وعكا ويافا وغيرها ولتغيير الواقع الديمغرافي في الأراضي التي تشهد كثافة فلسطينية أعلى من كثافة المغتصبين.

وكانت سلطات الاحتلال الصهيونية قد استقدمت العام الماضي نحو ثمانية آلاف مغتصب من يهود الفلاشا الإثيوبيين إلى فلسطين المحتلة.

البشير يكشف ملامح "الجمهورية الثانية" بعد انفصال الجنوب

مفكرة الاسلام: تحدث الرئيس السودانى عمر البشير إلى الشعب فى جلسة للبرلمان اليوم الثلاثاء تطرق خلاله إلى تحديات المرحلة المقبلة وملامح "الجمهورية الثانية" فى السودان الشمالي بعد إعلان جنوب السودان دولة منفصلة قبل أيام. وكشف البشير عن تشكيل لجنة قومية واسعة لإعداد وثيقة دستور دائم للبلاد تضم فى عضويتها فقهاء فى الدستور وخبراء فى القانون والسياسة والاقتصاد، ومن ثم طرحه فى استفتاء شعبى بعد إجازته من البرلمان.

وجدد البشير فى أول خطاب له بالبرلمان عقب انفصال الجنوب بإعلان قيام دولة جنوب السودان، الدعوة إلى المضي فى الحوار الوطنى مع جميع مكونات المجتمع السياسية والاجتماعية والأهلية لتحقيق توافق وطني واسع وعريض حول رؤية إستراتيجية جامعة، وأكد استمرار الحوار السياسي لتشكيل تفاهمات تشمل الحكم وآلياته وهياكله.

وقال الرئيس السوداني : "هناك حزمة إجراءات اقتصادية ومالية لمواجهة نقص الموارد من خلال خفض الإنفاق العام وترشيد الصرف ومراجعة أولويات التنمية وتنويع الإنتاج وزيادة الصادرات وإحلال الواردات ومضاعفة الإيرادات وتشجيع الاستثمار الوطني والأجنبي بوضع "برنامج إسعافي" للثلاث سنوات القادمة".

وكشف البشير عن إصدار عملة جديدة فى الأيام القادمة لمقابلة استحقاقات الانفصال وما ترتب عليه من إجراءات عملة خاصة بدولة جنوب السودان، لافتًا إلى أنه سيتم طرح تعديل لقانون الموازنة الجارية لاستيعاب هذه المتغيرات الجديدة دون فرض رسوم وضرائب جديدة.

وقال المشير البشير فى خطابه أمام البرلمان: "البلاد شرعت فى تعزيز الشراكات الاقتصادية فى مجالات البترول والمعادن والزراعة مع الصين ودول أخرى ومع الصناديق العربية ومع ماليزيا وتركيا والهند والبرازيل".

وحول الانفصال وإعلان دولة الجنوب، تطرق الرئيس السوداني عمر البشير إلى إقامة علاقات مع الدولة الوليدة قوامها احترام العهود والسعي الجاد لتعزيز الاستقرار وبناء علاقة جوار متميزة وإيجابية ومراعاة المصالح المشتركة والمحافظة على الروابط النفسية والوجدانية والاجتماعية الراسخة مع من أسماهم "إخوتنا فى الجنوب".

24 شهيداً في "جمعة ارحل" بسوريا

تظاهر مئات الآلاف من السوريين في احتجاجات عمت أرجاء البلاد تلبية لدعوة نشطاء للمشاركة في "جمعة ارحل"، وأفادت مصادر حقوقية بأن 24 شخصاً قُتلوا على أيدي قوات الأمن السورية.

وقالت المحامية والناشطة الحقوقية البارزة رزان زيتونة لرويترز إن القوات السورية قتلت 24 مدنيا على الأقل خلال احتجاجات مؤيدة للديمقراطية في أنحاء سوريا وفي هجمات عسكرية على قرى في منطقة متاخمة لتركيا.

وأضافت أن الأربع والعشرين مدنيا بينهم سبعة أشخاص قتلوا في مدينة حمص التي كانت مسرحا لاحتجاجات واسعة ضد الرئيس السوري بشار الأسد, و14 قرويا في محافظة ادلب في شمال غرب البلاد حيث اقتحمت قوات تدعمها دبابات وطائرات هليكوبتر قرى لقمع المعارضة في المناطق الريفية القريبة من تركيا.

وقالت لجنة التنسيق المحليَّة وهي مجموعة من الناشطين: "إن ثلاثة متظاهرين قتلوا في مدينة حمص بوسط البلاد وثلاثة آخرين في محافظة أدلب بالشمال واثنين في ضواحي دمشق وواحداً في اللاذقية".

وفي تحد لأسابيع من القمع العسكري اندلعت المظاهرات في ضواحي العاصمة السورية وبالقرب من الحدود اللبنانية وفي المحافظات الصحراوية المجاورة للعراق وفي محافظة أدلب بالشمال، حيث قال المرصد السوري لحقوق الإنسان: إن هجمات الدبابات على التلال القريبة من تركيا قتلت ثلاثة أشخاص خلال الليل.

ويظهر مقطع مصور نشر على موقع يوتيوب آلاف المتظاهرين الأكراد الذين خرجوا في مسيرة في عامودة بشمال شرق البلاد وهم يحملون لافتات تطالب برحيل الأسد.

وأشار ناشطون وشهود عيان إلى أن محتجِّين في مدينة حماة وفي مناطق كرديَّة بالشرق حملوا البطاقات الحمراء فيما يرمز إلى طرد الرئيس السوري.

كما ذكر شاهد عيان أن عدة عربات مصفَّحة انتشرت في حي باب السباع العتيق في حمص وأطلق جنود النار على محتجين من وراء حواجز وضعت على الطرق الرئيسيَّة في المدينة التي يسكنها مليون نسمة.

وقال ناشط في حمص: إن عدد القتلى ربما كان أكثر حيث تحاصر القوات السورية مستشفى خاصًا في باب السباع فيما هرع المسعفون بعدة مصابين إلى مستشفى آخر على أطراف المدينة لم تكن قوات الأمن موجودةً عنده.

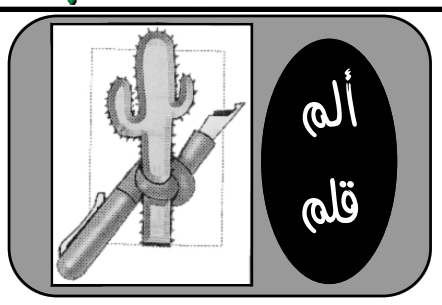

«وارحم مَنْ علّمَنا»

عبارة يرددها المغاربة في العديد من أدعيتهم أو كانوا يردّدونها، وخاصة في دعاء ختم القرآن... ذلك الدعاء الذي كان يُرفع بشكل جماعي، إيمانا من حفظة القرآن الكريم والتالين له (من التلاوة) والقارئين له بدور مُعَلم القرآن ومكانته في الذاكرة المغربية..

ذلك الدعاء الذي يترجم قيمة خلقية عالية، كان يتحلى بها المغاربة؛ وتتجلى في تقدير المعلّم، أي معلم، لما له من دور في نشر التعليم، بدءاً من محاربة الأمية، وانتهاءً بتخريج أجيال من المتعلمين المتقفين الذين يخدُمون وطنهم وأمتهم في المستقبل.

ولقد أتى حين من الدهر على المغاربة، وخاصة بعد فترة الاستقلال، كان للمعلم فيه مكانة عالية، ليس من الناحية المادية، ولكن من الناحية المعنوية، وهذا هو الأهم، لأنه لا قيمة للمال إن كانت الكرامة مهضومة، ولعل ما يحكيه أبناء جيل الاستقلال عن المعلم في تلك الفترة، من القصص الطريفة عن شخصية المعلم ومكانته لدى عامة الناس، بل حتى عند السلطات ربما يُعد حاليا من ضرب الخيال، ولا عجب في ذلك فإن ما قدمه المعلم من خدمات للمجتمع المغربي، تجعل الشخص يردد بحق وبصدق وبإخلاص مع الشاعر قوله المشهور :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كادَ المعلم أن يكون رسولا

لكن أين نحن من هذه المكانة التي كان يترجمها ذلك الدعاء المشهور؟

لقد انقلبت كل القيم، وأصبح المعلّم ليس مهمشاً فقط، ولكنه مستهدف من جميع الجوانب وبكل الوسائل، لو تتبعنا ما يتعرض له المعلمون من اعتداءات معنوية تنال من كرامتهم وشرفهم سبّا وشتما وقذفا لوجدنا اللائحة طويلة، طويلة أطول من أن تحصر.

ولو تتبعنا ما يتعرض له المعلم من اعتداءات مادية، في جسمه أو ممتلكاته. هنا وهناك، لوجدنا أن الحالات عديدة. وبعضها يندى لها الجبين.

لقد كانت مهنة التعليم، إلى عهد قريب، أشرف مهنة وأرفعها مكانة، على الأقل في نظرة المعلّم إلى نفسه، لكنها ربما أصبحت الآن من أصعب المهن وأكثرها خطورة، من حيث المهمات الجسام الملقاة على عاتق المعلم من جهات متعددة : من قِبَل الجهات المسؤولة، بما تنتجه وتصدره من برامج وأنظمة إصلاحية واستعجالية وغير ذلك. ومن قِبل آباء التلاميذ وأولياء أمورهم حيث ينبغي أن يكون في المستوى وفق تصورهم لا وفق التصور الذي ينبغي أن يكون. ثم من قِبل التلاميذ والطلبة أنفسهم الذين يتطلب وضعهم تقديمَ كل ما يلزم وينبغي من خدمات تعليمية وتربوية، حتى يؤمّن لهم مستقبلهم الدراسي، ثم قبل ذلك وبعده، تلك المسؤولية الداخلية التي يشعر بها كل معلم مخلص، ذلك الوازع الذي يدفعه إلى أن يعمل كل ما في وسعه، مضحيا بكامل وقته وجهده وطاقته، من أجل أن يكون في مستوى طموح تلامذته.

صحيح أن هناك شرائح من المعلمين لم تعد تحمل تلك الصفات النبيلة التي كان يتحلى بها معلم أيام زمان، ولكن الاستثناء لا ينبغي أن يُعكّر صفو القاعدة، فالمعلم هو هو، ولا بد أن يتحرك ضميره إن وجد قاعدة وبيئة تؤمن بفحوى الدعاء «وارحم من علمنا».

وحينما أقول المعلم، فإني أقصد المفهوم الذي حُصر فيه اللفظ، حيث أصبح قاصراً على الذي يزاول التدريس في المحلة الابتدائية، ولكن أقصد كل من يزاول مهنة التعليم في أي قطاع وفي أي مستوى، هو معنى بفحوى هذا الدعاء «وارحم من علمنا» كما أني لا أقصد الذكور دون الإناث.

فاللهم ارحمنا وارحم والدينا وارحم من علمنا، وارحم من سبقنا بالإيمان، وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 18

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون التغيير

الحقيقة الأولى: التغيير يبدأ من الداخل

... لازلنا في قوانين القرآن الكريم، والقانون اليوم قانون التغيير... المجتمعات الإنسانية تتطلع إلى التغيير، تتطلع إلى تغيير الحال، من التفرق إلى التجمع، من التنافس إلى التعاون، من الضعف إلى القوة؛ ولكن هذا التغيير، أولا بيد من؟ وثانيا ما أسبابه؟ وما القوانين التي تحكمه؟

لو اطلعنا على القرآن الكريم لنبحث عن قانون يتحدث عن التغيير لوجدنا هذه الآية التي تعد أصلا في التغيير، الله عز وجل، وكتابه عظيم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفضل كلام الله على خلقه كفضل الله على خلقه، **الله عز وجل يقول ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد : 15).**

هذه الآية على إيجازها، وعلى تماسكها، تسطر حقيقة صارخة ثابتة قطعية، لا تتبدل ولا تتغير، ولا تطور ولا تعدل ولا تلغى. إن التغيير ينبغي أن يبدأ من الداخل، وأي تغيير يأتينا من الخارج لا يسهم في حل مشكلاتنا، ولا في تحسين أوضاعنا، ولا في تماسكنا، ولا في قوتنا... كيف؟ وهل تتصور أن إنسانا في كرة يحكمها، هو وهذه الكرة ضمن كرة كبيرة لا يحكمها، بل تحكمه، قوى كبيرة تملك من أنواع الأسلحة والقوى ما تفرض رأيها عليه، فكيف ينجو من هذه القوى؟ أو كيف ينتصر عليها؟ الله عز وجل يقول ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد : 15) يعني هذه الكرة التي تملكها، والتي يعد أمرك نافذا فيها، هذه الكرة حينما تقيم فيها أمر الله يأتي الجواب "**أقم أمر الله فيما تملك يكفيك ما لا تملك**"..

إن أردنا التغيير نحو الأحسن، نحو القوة، نحو التماسك، نحو الغنى، نحو السمو؛ ينبغي أن يبدأ التغيير من أنفسنا، ينبغي أن يبدأ التغيير بصلحنا مع الله، "إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السموات والأرض أن هنئوا فلانا فقد اصطلح مع الله".

... مشاريع كثيرة للتغيير لم تنجح، لأنها لم تبدأ من الداخل، بدأت من الخارج، أو من استيراد نظم هجينة عن واقعنا، وعن قيمنا، وعن مبادئنا؛ فالله عز وجل ﴿لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد: 15) هذه الحقيقة الأولى.

الحقيقة الثانية: إن لم تغير فالله لا يغير

هناك حقيقة أخرى يمكن أن .. تشمل الأمة بأكملها، أو تشمل أحد أفرادها، وعظمة هذا الدين أنه دين جماعي فردي، فإذا أخذت به الجماعة قطفت ثمار هذا الدين، إن لم تأخذ به الجماعة وأخذ به الفرد قطف وحده ثمار هذا الدين، والأولى أن تأخذ الجماعة بأكملها بهذه ... الحقيقة: أيها الإنسان على المستوى الفردي، إن كنت في راحة نفسية، إذا كنت في بحبوحة، إذا كانت أسرتك متماسكة، إذا كان دخلك يغطي حاجاتك، إذا كان أولادك أبرارا، إذا كانت سمعتك طيبة؛ هذا الوضع المريح الذي أنت فيه، إن لم تغير فالله لا يغير، اطمئن ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾(الشورى : 30).. ينبغي أن تثق بالله عز وجل، وأن تثق أن المستقبل، وأنت مستقيم على أمر الله، لا يخبئ لك إلا كل خير، وهذا معنى قوله تعالى ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾(الشورى : 30). **إن كنت في بحبوحة، إن كنت في رفعة، إن كنت في راحة، إن لم تغير فالله لا يغير، ابق متواضعا، ودائما وأبدا من السهل أن تصل إلى قمة المجد**، ولكن

إن التغيير ينبغي أن يبدأ من الداخل، وأي تغيير يأتينا من الخارج لا يسهم في حل مشكلاتنا، ولا في تحسين أوضاعنا، ولا في تماسكنا، ولا في قوتنا..

البطولة لا أن تصل بل أن تبقى، لأن طريق المجد طريق وعر، فيه أكمات، فيه عقبات، فيه صعوبات، فيه صعود حاد، ويمكن بعد جهد جهيد جهيد أن تصل إلى القمة، ولكن البطولة لا أن تصل إليها بل أن تبقى فيها، فلذلك فإذا كنت على خلق، وعلى ورع، وعلى استقامة، وعلى طاعة، وعلى عطاء، وعلى أعمال صالحة؛ لا تغير هذه الأعمال، فالله عز وجل متكفل لك ألا يغير ما أنت فيه.

الحقيقة الثالثة: غيِّر حتى يُغَيَّر

الآن يقابل هذه الحقيقة الرائعة حقيقة مرة، إن كنت أيها الإنسان في ضائقة، في مشكلة، في خلاف داخلي، في ضعف سمعة، في مشكلات خارجية، إن كنت تعاني ما تعاني؛ ارجع إلى نفسك، لأن الله عز وجل يقول ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾(النساء :147).. **غير حتى يغير، وإن لم تغير فالله لا يغير**، فهذه الآية على إيجازها هي قانون دقيق جدا، تحتاجه الأمة بأكملها، ويحتاجه الفرد المسلم، **إن كنت في راحة لا تغير فالله لا يغير، وإن كنت في ضائقة غير حتى يغير ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد : 15)**. لذلك ورد في بعض الأحاديث "إنما تنصرون بضعفائكم" من أجل أن تنتقلوا من الضعف إلى القوة، من أجل أن تتجاوزوا مرحلة الهزيمة إلى مرحلة النصر ﴿إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم﴾ فالضعيف ينبغي أن تطعمه إن كان جائعا، وأن تكسوه إن كان عاريا، وأن تعلمه إن كان جاهلا، وأن تؤويه إن كان مشردا، وأن تنصفه إن كان مظلوما؛ إنك إن فعلت هذا كافأك الله بمكافأتين: الأولى: أن ينصرك على من هو أقوى منك بحكم التوحيد، والمكافأة الثانية بحكم التكتيك، أنت حينما تنصر الضعيف تتماسك هذه الأمة، ويصعب اختراقها، إذن ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد :15).

... من الآيات التي تؤيد هذا الأصل في التغيير، أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾(محمد :7) نصر الله له ثمن، ثمنه أن تنصر دينه، أن تقيم شرعه، أن يكون الأمر عندك مهما، أما حينما ترى أن الله تخلى عن المؤمنين، هو في الحقيقة أدبهم، لأنه هان أمر الله عليهم فهانوا على الله... وأحيانا تكون شدة الأقوياء تأديبا لهؤلاء المؤمنين الضعفاء، قال تعالى ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾(الأنعام : 129)..

.. لا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى حينما يقول ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾(النور :55) الثمن ﴿يعبدونني﴾(النور :55).. لذلك حق العباد على الله إذا هم عبدوه ألا يعذبهم ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾(الأنفال :33) منهجك مطبق فيهم، إذن هذه آية دقيقة جدا "يعبدونني" وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم﴾(الشعراء :89) **القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبرا يتناقض مع وحي الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يحتكم إلا لشرع الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد إلا الله.**

...﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾(النور :55) فإن لم يُمَكِّن دينهم معنى ذلك أن فهمهم لهذا الدين، وتطبيقهم له، ودعوتهم إليه، لا ترضي الله عز وجل. إذن ينبغي أن نراجع أنفسنا، والكرة في ملعبنا، وفي أية لحظة نصطلح مع ربنا ننتصر على أعدائنا، وتتحسن أحوالنا، ويغير ما بنا إن غيرنا ما بأنفسنا... إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى...

مواقف وأحوال

الدكتور المازري (الإمام المازري الطبيب)

الإمام المازري علم من أعلام الأمة الكبار، وفقيه من فقهائها الأخيار، يعرفه كل من له علاقة بعلوم الشريعة عموما فقها وحديثا وأصولا وغير ذلك، درّس وألف، ونفع الله به خلقا كثيرا، ومازال نفعه مستمرا، شرح صحيح مسلم، وكتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب، وشرح البرهان للجويني وله غير ذلك من نفائس الكتب..

ويكفي أن المالكية من القرن السادس فما بعده إذا أطلقوا لفظ "الإمام" في كتبهم فهو المراد، قال ابن فرحون «وصار الإمام لقبا له ﷺ فلا يعرف بغير الإمام المازري، ويحكى عنه أنه رأى في ذلك رؤيا : رأى رسول الله [فقال له : يا رسول الله أحق ما يدعونني برأيهم، يدعونني بالإمام؟ فقال : أوسع صدرك للفتيا»(1).

لست هنا لأكتب ترجمة للإمام المازري فذلك مما لا أُعْنى به في هذه الزاوية، وهو أمر معلوم مشهور، لكن حالا من أحوال هذا الإمام -وما أكثرها- استوقفتني طويلا، وصرت أتأملها وأنا أقلب النظر في واقعنا والحسرة تملأ علي قلبي، هذه الحال هي علو همة هذا الإمام الكبير فتأملوا معي أيها السادة ما قاله ابن فرحون في الديباج، قال : يحكى أن سبب قراءته -يعني الإمام المازري- للطب ونظره فيه أنه مرض فكان يطُبُّه يهودي فقال له اليهودي يوما : يا سيدي، مثلي يطب مثلكم؟! وأي قربة أجدها أتقرب بها في ديني مثل أن أفقدكم للمسلمين!! فمن حينئذ نظر في الطب»(2).

إن هذه الكلمة كانت كافية لتجعل من الإمام "دكتوراً" ومن الفقيه طبيبا، ولولا أنها وجدت قلبا واعيا، وهمة عالية ما أثمرت شيئا، ولا أنتجت ما أنتجت.

له همم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر

ليست القضية في كون المازري طبيبا فما أكثر الفقهاء الأطباء، كعبد الواحد ابن عاشر وغيره، وإنما في علو الهمة التي افتقدناها اليوم في الكبار فما بالك بالصغار.

أليس من العيب والعار في حق هذه الأمة أن تحتاج إلى اليهودي أو النصراني أو من لا دين له حتى في جمع قمامة البيوت والشوارع فضلا عن حاجتها إليهم في مجالاتها الحيوية المختلفة.

وإلى الله المشتكى.

1- الديباج لابن فرحون، ص : 375.
2- نفسه.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

سلسلة منازل الإيمان

منزلة المحبة (الأخيرة)(*)

إدراك المحبة رهين بتطهير القلب من الخطايا

بعدما اعتبر الشيخ المحبة جوهراً للقرآن الكريم وأنها مركبة السائرين إليه عز وجل وبعدما تحدث عن تجليات محبة الله عز وجل لعباده يتحدث في الحلقة الثالثة والأخيرة عن كيفية إدراك المحبة وأنه رهين بتطهير القلب من الخطايا والذنوب

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

محبة الله نور يقود العبد إلى الله

أسماء الله الحسنى وصفاته العلا توجد في كتاب الله عز وجل وكتاب الله نزل للناس أجمعين ليقرأه كل واحد على وزان نفسه، يقرأ نفسه من خلال القرآن، والإنسان مدعو لمشاهدة نفسه في ميزان الله وإنما ميزانه كتابه عز وجل، لما تقرأ آيات القرآن الكريم انظر إلى نفسك أين أنت من آيات الصديقين والصالحين، آيات الطالحين والكافرين، آيات الخير وشروط الخير، آيات الضلال وشروط الضلال، بين هذا وذاك مراتب شتى أين أنت منها؟ **كتاب الله أُنزِل لتبصر به الله تعالى ولتبصر به الكون وتبصر به نفسك والحياة حولك وكل شيء ﴿أبصر به وأسمع﴾ ما أشد إبصاره وإسماعه، القرآن الكريم يُبَصِّر الناس ويسمعهم فتحتاج إذن إلى أن تفتح فقط بصيرتك ﴿فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وعمى القلوب إنما يكون حينما يكثر العبد من الذنوب ولا يستغفر ولا يتوب**، جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ من حديث حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال : «تُعْرض الفِتَنُ على القُلُوب كعرْض الحصير عُوداً عوداً. فأيّ قلْب أُشرِبَها نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ سوداءَ، وأيّ قلب أنْكَرَها نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ بيْضاءُ، حتّى تعُودَ القُلُوب على قلْبَيْن : قلْب أسْود مُرباداً كالكُوز مُجَخِّياً، لا يعْرِفُ معْروفاً ولا يُنْكِر مُنْكَراً، إلا ما أُشْرِبَ من هواهُ، وقَلْب أبْيَض لا تَضُرُّه فتْنَةٌ ما دامتِ السّماوات والأرْض» «تعرض الخطايا على القلوب عرض الحصير» والنسيج هو من أشد الأشياء متانة، فإذا نُسجَت الخطايا على القلب صارت غلافاً كالحصير قويا متينا فتُغلِّف القلب تغليفا كما غُلِّفَت قلوب بني إسرائيل "وقالوا قلوبنا غُلف" -والعياذ بالله- والشيطان هذا دأبه وسعيه، يسعى لتغليف القلوب، يحاول تغليف القلب بأسوأ الذنوب، ذنب بعد ذنب وبسرعة قبل أن يتوب العبد، عسى أن يتمكن من ذلك القلب ويلقيَه حينئذ بواد القمامات والقاذورات ولذلك كانت نصيحة محمد ﷺ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(رواه الإمام أحمد والترمذي) لكن مع الأسف القلوب إذا غُلفت يصعب عليها أن تستفيد من كوثر النبوة، وأتبع : من الاتباع مباشرة إذا أذنبت ذنبا أتبعه بحسنة مباشرة، لا تقل غدا لأن تلك السيئة تنتشر كالمكروب وتقوم بالنسج مع ما سبق في قلبك من سيئات وتغلف قلبك تغليفا، عرض الحصير عودا عودا ولذلك وجب أن تتبع السيئة بالحسنة قبل أن تصبح نسيجا لأنها إذا أصبحت نسيجا يصعب انتزاعها من قلبك، «وأتبع السيئة الحسنة» فعل تعدى إلى مفعولين في لحظة واحدة، وأتبع السيئة المفعول به الأول الحسنة المفعول به الثاني في المكان بفعل واحد مما يدل على تزامن الفعل أنه عمل واحد في اللحظة أتبعها بحسنة قال ﷺ : «تمحها» وهذا يسمى في النحو جواب الأمر، **وجواب الأمر يفيد اللزوم، أتبع تمح، اجتهد تنجح، يعني مائة في المائة ليس فيها شك**، حينما تتبعها تمسحها كاملة فالعبد إذن إذا تخلص من ذنوبه ذاق حلاوة الإيمان حينئذ، وحينئذ فقط. عندما يتخلص العبد من الذنب ويتطهر منه يتذوق كما يقع للإنسان المزكوم يفقد حاسة الشم وعندما تعود له حاسة الشم يعرف أنه بدأ يتعافى ولذلك قال ﷺ في الحديث عن هذا الإنسان الذي تغلف قلبه بالذنوب «لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا» فقد اختلطت عنده رائحة الخير برائحة الشر، كأنه مزكوم لا يفرق بين الرائحة الطيبة اللطيفة والرائحة الخبيثة النتنة، فكذلك الذنوب والأعمال الصالحة لدى العبد الذي له قلب يذوق فلكي تدرك المحبة جرد قلبك من الخطايا، يذق المائة في المائة، لو أنك جردت قلبك من الخطايا حقا لذاق هذا

نحن في حاجة شديدة إلى مطالعة آلاء الله في الأنفس والافاق، محتاجين إلى أن نتأمل ونتفكر ونتدبر هذه المعاني التي تعرفنا من هو الله عز وجل؟ وإن معرفتنا به قليلة جداً وإنها مشكلة، إننا كلما عرفناه ازددنا حبا فيه عز وجل، لأن خلاله سبحانه، وصفاته هي صفات المحبة

المعنى الذي تحدث عنه الله ورسوله ﷺ وأخبر به الصالحون ممن ذاقوا حينما قال الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ هذا هو المعنى الذي نتحدث عنه، كثير من الناس اتخذوا من دون الله أندادا يرجعون إليهم في العسر واليسر، يطلبون منهم سواء كانوا أحجارا أو أشجاراً أو غير ذلك، ساووهم مع الله تعالى في المحبة، يحبونهم كحب الله، فهؤلاء تساوى الذوق عندهم، الطعام الطيب والطعام الرديء سواء، ﴿يحبونهم كحب الله﴾ بينما المؤمن الصافي القلب أشد حبا لله ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ و"أشد" صيغة تفضيل، العبد يفضل حب الله على كل حب وحب الله أمر لو امتلك على عبد قلبه لما وجد بعد ذلك راحة إلا في الاقتراب منه، الإنسان الذي يحب بلاداً أو يحب إنساناً متى يكون في راحة وسعادة؟

في حالتين : عندما يكون في تلك البلاد قريبا من محبوبه أو من المكان الذي يحبه، أو عندما يكون مسافراً إليه. **فكذلك العبد المحب لربه لا يجد راحته إلا في حالين إما أن يكون إلى جانب ربه و«اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» أو يكون في حالة السير إلى ربه ولذلك رتب النبي ﷺ الحسنات على الخطوات التي يخطوها العبد إلى المسجد وهو يقصد الصلاة، لم يخرجه من بيته شيء سوى الصلاة، شيء عظيم جدا، ألا يخرجك من بيتك أو من متجرك أو من مكان عملك شيء إلا الصلاة،** تركتَ المال والأعمال وتركت سكينة المنزل ودفء الفراش تقصد في خطوات مشاءً إلى الله في الظلم وقلبك منير، الظلام على الناس الأخرين أما أنت مع أنك تسير في الظلام فأنت تسير في الضوء، لأن العبد إذا خرج إلى الله لا يقصد إلا الله فقلبه منور بنور الله وبصره مُنوَّر بنور الله فهو يرى بنور الله ويسمع بسمعه عز وجل «بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة» أو كما قال ﷺ لا يسير إلى الله عز وجل إلا محبٌّ له.

نحن في حاجة شديدة إلى مطالعة آلاء الله في الأنفس والآفاق، محتاجين إلى أن نتأمل ونتفكر ونتدبر هذه المعاني التي تعرفنا من هو الله عز وجل؟ وإن معرفتنا به قليلة جداً وإنها مشكلة، إننا كلما عرفناه ازددنا حبا فيه عز وجل، لأن خلاله سبحانه، وصفاته هي صفات المحبة، كل صفاته تقربك إليه وتحببك فيه وإنما يضيع ويضل من جهل هذا، كثير من الناس يبحثون عن أشياء ترضي أنفسهم، كثير من ألوان الضلال من النساء والشهوات ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾.

الإنسان يسعى ويجري وراء الملذات ليجد راحته، لأن راحته في شهوته ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات﴾ تزيين فطري لأن الإنسان يبحث عن الراحة، ولكن المشكل هو في طريقة الوصول إلى هذه الراحة، لو قصد فيها -أقول فيها- الله عز وجل لوجد راحته فيها حقا لأنه لم يقصدها لذاتها وإنما قصدها لله سبحانه، وحينما يقصدها لذاتها يدخل في قوله عز وجل : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾، فلا يجد راحته لا فيها ولا في غيرها وفي الحديث القدسي : «عبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد»، كيف تتعارض إرادة العبد مع إرادة الله، إرادة الله قاضية غالبة والله غالب على أمره سبحانه وتعالى : ﴿هو القاهر فوق عباده﴾ «أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن أطعتني فيما أريد مكنتك مما تريد» لو تطيع الله فيما يريد يعطيك سبحانه ما تريد أنت، «وإن عصيتني فيما أريد منعتك مما تريد ولا يكون إلا ما أريد» فالعبد إذن لو قصد ما قصد من الملذات ولكن بالمنهج الشرعي فمعنى ذلك أنه يعرف لله قدره، فمحبته إذن قاضية على محبة ما دونه. الإنسان بطبعه يحب المال ولكن لأن الله حرم عليه نوعاً من الأنواع فهو يتجنبه طاعة لله عز وجل محبة فيه وهو سبحانه يعطيه من رزقه المال الحلال وتبقى في قلبه محبة الله، ومحبة الله نور يقود العبد إلى الله ولا يحرمه من أي شيء من خيرات الدنيا وخيرات الآخرة ولكن الشيطان يظل الإنسان ويُمنِّيه ويعدُه الفقر، والله عز وجل هو الغني سبحانه وتعالى، ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾.

اللهم اجعلنا ممن يحبك، ويحب رسولك، ويحب الصالحين من المؤمنين.

(*) منزلة المحبة من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بمسجد الجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي .

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

إشراقة

تربية الأبناء

ذ. عبد الحميد صدوق

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقي ركبا بالروحاء فقال : "من القوم" قالوا : المسلمون، فقالوا : من أنت؟ قال : "رسول الله" فرفعت إليه امرأة صبيا فقالت : ألهذا حجٌّ؟ قال : "نعم ولك أجر"(رواه مسلم).

إن إرشاد الصبي إلى العبادة، وتربيته على الطاعة هو من صميم التعاون على إصلاح الأخلاق داخل المجتمع، إذ الولد عند خروجه من البيت سيحتك بغيره فيؤثر في رفقته بأخلاقه وسلوكه، فإن كانت تربيته حسنة فالخير يبدأ بفرد وينتشر إلى الآخرين، وإذا كانت تربيته سيئة فالعدوى تصيب المرافقين، وكم يندم أهل الضلال يوم القيامة على اختيارهم الرفقة السيئة، يقول الله تعالى :﴿يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا﴾(الفرقان : 28) هذه هي عواقب الرفقة المنحرفة على تربية الأبناء، الضلال عن الذكر، والبقاء مع الغافلين في الحياة الدنيا، وسوء المنقلب في الآخرة، فلهذا أوصى نوح عليه السلام ابنه ألا يكون مع الرفقة الجاحدة بالإيمان فقال له : ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾(هود : 42).

فلما تمرد الابن ولم يسمع نصيحة أبيه واختار صحبة الكفار كان منهم، والقاعدة في الحديث الشريف تقول : "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"(1). فلما كان الأبناء داخل المجتمع يتأثر بعضهم ببعض كانت تربية الأولاد من أهم أنواع التعاون على تحصين المجتمع من الانحراف، فلهذا لما قالت المرأة : ألهذا حج؟ قال : "نعم ولك أجر" لك أجر على تعليمه مناسك الحج وكلها صلاة ودعاء، ولك أجر على تعليمه مقاصد الحج، وهي الابتعاد عن الرفث وهو الكلام الساقط الفاحش، والفسوق وهي المعاصي، والجدال، وهو المخاصمة وسوء الصحبة، وهذا يشبه قول النبي ﷺ : "من حفظ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا"(2).

فلو أن أبناءنا أخذوا حظهم من القرآن لكان مستقبل أمتنا قرآنيا ولا شك، وحين يتضح هذا تدرك أن من تعاون على تحقيقه يستحق تاج الوقار يوم القيامة.

1- رواه الترمذي
2- رواه أبو داود.

التبليغ عند رسولنا ﷺ 1

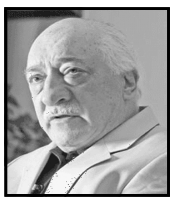

ذ. محمد فتح الله كولن

إن هناك أسسا مهمة في الدعوة والتبليغ، وقد ذكرنا بعضها منها، والآن نسترجع ذكرها باختصار لنضيف إليها أخرى.

الأول : الفطنة في الدعوة والتبليغ، وتستطيع أن تسمي هذه الفطنة ب "منطق النبوة".

الثاني : التمثيل الجيد للدعوة إذ يجب أن يعيش صاحب الدعوة دعوته في جميع مظاهر حياته. وقبل أن يدعو الآخرين إلى دعوته عليه أن يطبقها على نفسه ويعيش دعوته أولا.

الثالث : أن تكون النتيجة ا لمبتغاة من الدعوة رضا الله تعالى وحده، فلا يجب أن تكون لدعوته غاية غير هذا ولو الجنة. وهذا يعني التضحية بجميع الفيوضات والمنافع المادية منها والمعنوية.

1- الفطنة الداخلية :

هناك جانب الفطنة في دعوة رسول الله ﷺ، والفطنة هنا ليس مجرد منطق بارد، بل منطق يمتد من الظاهر إلى الباطن ومن الدنيا إلى الآخرة. فكما أن للإنسان جانبا منطقيا، فله كذلك جانب عاطفي. والذين يخاطبونه من جانبه العاطفي قد يفشلون عند وجود ثغرة في جانبه المنطقي. بينما كان الرسول ﷺ يخاطب الحواس والمنطق والحدس في آن واحد. فلا يهمل الأشياء المادية المرئية عند تناوله للإنسان، بل يجعلها ممرا للنفوذ إلى روحه. وهو يستعمل العقل ويدعو إلى استعماله ويهتم باستعمال المنطق والمحاكمات العقلية ويخاطب الضمائر عن طريقها. فكل من سمع صوته في وجدانه وصل إلى الحقيقة أسرع ممن يخاطب الوجدان وحده. فالفلاسفة من أمثال باسكال(Pascal) وبرغسون (Bergson) وغيرهم من الذين أرادوا الوصول إلى الله عن طريق الحدس(Intuition) مكانهم وراء التلاميذ الذين رباهم رسول الله ﷺ بمراحل بعيدة برغم أن المفروض أن يكون هذا الميدان ميدانهم. أما في ساحة الفضيلة والخُلق العام فلا يمكن أن نضعهم حتى بجانب أقل مؤمن.

وكما لا يمكن الوصول إلى الرسول محمد ﷺ في أي ساحة وفي أي ميدان، فإننا نرى هذا الأمر ساريا في موضوع الفطنة أيضا. فقد غلب خصومه بثاقب بصره، وجعلهم يستسلمون له. فمثلا نراه يرفع أصبعه مشيرا إلى الأصنام وقائلا : ماذا تأملون من هذه الأحجار والأخشاب والتراب..؟ وبعد أن يخاطب عقل محدثه يأخذ بيده ليقربه إلى القلب أيضا بطريقة خارقة غير اعتيادية وأحيانا بمعجزة، ثم يجعله يتقدم خطوة أخرى وينصبغ باطمئنان الإيمان ويذوق حلاوته حتى يصبح شخصا آخر همه الحياة الأخرى.

لنأخذ مثلا السيرة الروحية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال له ﷺ إنه لا يعلم كيف أن شخصا عاقلا مثله يبقى بعيدا عن الهداية، ولا يعلم ماذا ينتظر من الأحجار والأوثان.

فهو أولا يمدح عمر بهذه الأقوال، ثم إنه يقول كلاما يحترم المنطق، وبذلك أخذ عمر في راحة يده، ثم نفذ إلى قلب عمر رضي الله عنه بأسلوبه الهادئ الذي يبعث الأمن والطمأنينة والثقة، وفي المرحلة الثالثة استطاع بعبوديته العميقة أن يجعل عمر الذي كان جبارا في الجاهلية يجلس بين يديه جلسة تلميذ مؤدب أمام أستاذه الكبير.

نقدم مثالا ملموسا قبل الانتقال إلى الأسس الأخرى :

جاء شاب إلى رسول الله ﷺ، والصحابة لا يذكرون اسم هذا الشاب، ولكن إن قمنا بجمع الروايات وتوحيدها نعلم أنه جُليبيب(ض) وقال له : ائذن لي يا رسول الله بالزنا. لننقل الرواية كاملة : عن أبي أمامة قال : إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه. فقال : "ادنه" فدنا منه قريبا قال فجلس :

قال : "أتحبه لأمك؟" قال : لا والله جعلني الله فداءك.

قال : "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" قال : "أفتحبه لابنتك؟"

قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك.

قال : "ولا الناس يحبونه لبناتهم" قال : "أفتحبه لأختك؟"

قال : لا والله جعلني الله فداءك.

قال : "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" قال : "أفتحبه لعمتك؟"

قال : لا والله جعلني الله فداءك.

قال : "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال : "أفتحبه لخالتك؟"

قال : لا والله جعلني الله فداءك.

قال : "ولا الناس يحبونه لخالاتهم"

قال : فوضع يده عليه وقال : "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(1).

لقد استطاع رسول الله ﷺ بهذا الحوار المنطقي مع الشاب أن يجعله بين راحتي يديه يوجهه الوجهة التي يريدها. ثم وضع يده على صدره داعيا "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" فأصبح جُليبيب بعد هذا الدعاء مثال العفة. ولم يرض أحد أن يزوج جليبيبا ابنته، لأن حياته الماضية كانت معروفة لديهم. وهنا تدخل رسول الله ﷺ وزوج جليبيبا(2) ثم استشهد رضي الله عنه في أول معركة استشهد فيها بعد زواجه. وعندما انتهت المعركة سأله رسول الله ﷺ، "هل تفقدون من أحد؟" قالوا : نعم، فلانا وفلانا وفلانا. ثم قال "هل تفقدون من أحد؟" قالوا : نعم، فلانا وفلانا، ثم قال : "هل تفقدون من أحد؟" قالوا : لا. قال "ولكني أفقد جليبيبا. فاطلبوه" فطلب في القتلى. فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه. فأتى النبي ﷺ فوقف عليه فقال : "قتل سبعة، ثم قتلوه. هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه"(3).

نعم! لقد استطاع الرسول ﷺ بفطنته أن يخلص شابا على حافة الزنا من الآثام، ثم رفعه إلى مثل هذه المرتبة السامية في أقصر وقت ممكن. إن هذا الأمر تحتار له العقول!

هب لو أن علماء التربية وعلماء النفس جميعا اجتمعوا وذهبوا إلى شبه جزيرة العرب هل يستطيعون تحقيق التربية والخلق الرفيع الذي حققه رسول الله ﷺ في مثل هذا الزمن القصير..؟ كلا! لن يستطيعوا ذلك. إنهم لن يفشلوا فقط في تحقيق تلك التربية العالية والخلق الرفيع، بل لن يستطيعوا تحقيق مبدإ واحد أو مبدأين فقط من منظومة هذه التربية.. وهذا هو ما يشير إليه الواقع العملي.

ولقد عاش رسول الله ﷺ في عهد فشت فيه الأخلاق الذميمة من كل نوع حتى أصبحت طبيعة في النفوس، ولم يكتف رسول الله ﷺ باقتلاع هذه الأخلاق السيئة من النفوس بل زينها بأحلى الأخلاق وأجمل الفضائل، فلم تشاهد البشرية مثل هذه الأخلاق قط ولن تشاهد بعدهم أبدا. والتاريخ الإسلامي شاهد صدق على هذا بما يحويه من آلاف الأمثلة. ولعل فشل الجهود المبذولة الآن لمكافحة بعض العادات السيئة يعد شاهدا آخر على ذلك. فعلى سبيل المثال تقوم الدول حاليا بتسخير كل أجهزتها لمكافحة عادة التدخين، ومن ثم نرى الوزارات تشمر عن سواعد الجد، ويقوم المئات من العلماء بعقد الندوات لهذا الغرض وتخرج المطابع سيلا من الكتب في مضار التدخين وتعلق الدعايات والإعلانات والشعارات... الخ. ولكن ما كانت النتيجة..؟ لا شيء.

ولكن لنتأمل الجماعة التي قام رسول الله ﷺ بتربيتها وكيف كانت أقواله تجد طريقها السريع في التطبيق العملي. وإليكم مثالا واحدا.

يقول أنس رضي الله عنه : فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا إذ جاء رجل فقال : وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا : وما ذاك؟ قال حُرمت الخمر. قالوا : أهرق هذه القلال يا أنس. قال : فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل(4).

نعم! لقد فعل كل هذا، والذين لا يرغبون أن يروا هذا نقول لهم ونحن نشير إلى شبه الجزيرة العربية : "إذا أردتم أن تفعلوا شيئا فاعملوا واحدا من المليون مما عمله رسول الله ﷺ هناك..." ولن يستطيعوا ذلك أبدا.

2- تطبيق الدعوة على النفس أولا :

أحد الأساليب الديناميكية التي استعملها النبي ﷺ في دعوته، هو جعل طراز حياته مطابقا تماما للمقام الذي يمثله. وتمثيله الحق لما كان يقوله ويدعو إليه كان صادقا إلى درجة أن من يشاهده ويراه كان يؤمن بالله تعالى من غير حاجة إلى دليل آخر، حتى أن رؤيته مرة واحدة كانت كافية للإيمان بأنه رسول من عند الله.

يقول عبد الله بن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبئك بالخبر(5)

إن الذين آمنوا به ووهبوا قلوبهم له والذين خاطبوه ب" يا رسول الله" كانوا هم الذين حكموا العالم وأداروه من بعده. فلم يكن نجاحه محصورا في إيمان نفر قليل به. فمن بين هؤلاء الذين آمنوا به نجد أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم أجمعين، إذ كان كل واحد منهم شخصية كبيرة تستطيع إدارة العالم بأجمعه، فما كان أي من هؤلاء من ذلك الطراز الذي يمكن أن يسلم قياده بسهولة لكل من يظهر أمامه. فلو كان أمهم أحد سوى رسول الله ﷺ ما كان أي منهم ليؤمن به أو يسلس قياده له. إن شخصا في مستوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الذي يقول : "لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينا"(6). والذي وصل في إيمانه إلى مستوى "حق اليقين"، أقول إن إيمان مثل هذا الشخص بالنبي ﷺ يعد دليلا قائما بحد ذاته.

لقد كانت كل أحواله مؤثرة وساحرة بلغت أن العالم اليهودي عبد الله بن سلام ما إن رآه للمرة الأولى حتى قال : "فلما تبينتُ وجهه عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب"(7).

أجل، لقد كانت رؤيته كافية للإيمان به. والذين أفنوا حياتهم كلها من أجل إيصال صوتهم وآرائهم للآخرين يعلمون مدى صعوبة هذا الأمر أكثر من غيرهم، أي الإيمان بهم من أول لقاء. لأن معظم هؤلاء يقضون حياتهم في جهد متواصل. فلا ينجحون إلا في جذب أشخاص بعدد أصابع اليدين. بينما انظروا إلى رسول الله ﷺ، فهل ترون مثيلا له أو شخصا آخر يتربع في قلوب ما يقارب مليار شخص؟ وهل هناك شخص آخر غيره يذكر اسمه خمس مرات في اليوم من فوق المآذن في كل أنحاء العالم...؟ إذن، فالإنسانية تحبه وتعلن هذا الحب كل يوم خمس مرات، هذا على الرغم من كل النظم والأشخاص العاملين ضده.

أجل، فعلى الرغم من كل شيء فما يزال الرسول محمد ﷺ متربعا على عرش القلوب، لأنه طبق على نفسه أولا ما دعا الناس إليه، وعاش مثالا حيا للمبادئ التي دعا إليها، لذا كانت كلماته تنفذ إلى أعماق الجماهير وتجد طريقها للتطبيق العملي.

لقد كان يمثل في نفسه أجمل نموذج للعبودية لله عندما كان يدعو الناس إلى هذه العبودية. تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتصف مبيت رسول الله ﷺ عندها فتقول ثم قال : "ذرين أتعبد لربي" قالت فقلت : والله إني لأحب قربك وإني أحب أن تعبد لربك. فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض. ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت : فقال : يا رسول الله ما يبكيك؟ وقد غفر الله لك ذنبك ما تقدم منه وما تأخر؟ فقال : "ويحك يا بلال! وما يمنعني أن أبكي وقد أُنزل علي في هذه الليلة﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾(آل عمران : 190) ثم قال : "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها"(8).

كان يصلي حتى تتورم قدماه. وعندما ذكر له يوما أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال :"أفلا أكون عبدا شكورا؟"(9) لقد فتحت أمامه أبواب الشكر فكان جهده من أجل ذلك.

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها : افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسستُ(10) ثم رجعت. فإذا هو راكع أو ساجد يقول : "سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت" فقلت : بأبي أنت وأمي. إني لفي شأن(11) وإنك لفي شأن آخر.

وفي رواية أخرى قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد(12) وهما منصوبتان وهو يقول : "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"(13).

لو شاء لعاش عيشة رخية وهينة مثل عيشة الملوك. ولقد اقترحوا عليه في مكة مثل هذا العيش في مقابل التخلي عن دعوته، غير أنه فضل حياة الضنك والشدة على حياة الرفاهية والغنى، وذلك في سبيل دعوته(13). فَضَّل حياة العبد الرسول الذي يجوع فيتضرع أو يشبع فيشكر على حياة الملك الرسول(14). لقد كان أسلوب حياته البسيطة الخشنة هو الذي ربط الناس به.

وكان عمر بن الخطاب(ض) يعيش أيضا حياة بسيطة جدا، غير أن ما شاهده من طراز حياة الرسول ﷺ جعل الدموع تملأ عينيه. يقول عمر(ض) : وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وأن عند رجليه قرظا(15) مصبوبا، وعند رأسه أَهَبٌ(16) معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت. فقال : "ما يبكيك؟" فقلت : يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله. فقال : "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟"(17).

صحيح أن زمام الدنيا يجب أن يكون

تتمة : ص 7

الاجتهاد الفقهي والمعرفي وقود التجديد الحضاري الإسلامي

ذ. عبد المجيد بلبصير

بين الاجتهاد والتجديد

التجديد لغة من الجَدِّ بفتح الجيم، وأصل معناه القطع حسيا كان أو معنويا، مثال الأول: الثوب الجديد أي القريب العهد بقطع الحائك، ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه، أي ما كان نقيض البالي الخَلِق.

ومثال الثاني الاجتهاد في الأمر، وهو الجد بكسر الميم، بقطع مراحله، واستنفاد أسبابه، بما يؤدي أحيانا إلى تحصيل مقام العظمة، وهي الجد بفتح الجيم، ففي حديث أنس : "كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا" أي عظم في أعيننا(1).

والتجديد في الاصطلاح الإسلامي لا ينفك عن روح المعنى اللغوي، إذ حقيقته تفعيل ثمرات الاجتهاد الفقهي والمعرفي في واقع الأمة، بما يؤدي إلى قطع صلتها ببالي المفاهيم وخلق المعتقدات، التي طال عليها أمد الانحطاط والتقليد، ويحقق لها عظمة الانفتاح على مستجدات العصر ونوازله، بحيث تستعيب إفرازاته، وتحل إشكالاته مستمسكة بأصل الوحي.

وعليه فالعلاقة بين الاجتهاد والتجديد إنما هي علاقة تأسيس وتأصيل، إذ متى غاب الاجتهاد في العلم والعمل، كان تجديد الحال والمآل في حكم العدم. وهي أيضا علاقة تجسيد وتشكيل، إذ متى عطل المجتهد اجتهاده، بحيث لم يبرز أثره النافع في الناس، لم يكن مجددا على الحقيقة. وبهذا الاعتبار ناط سبحانه أمر تجديد التدين في الأمة بمجتهديها العاملين، قال ﷺ : «"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(2) فبعث المجددين على رأس كل مائة عام، ناموس رباني عام، لإحياء أمة الإسلام بعد بلى الإيمان، بنفخ روح القرآن، حتى تنخرط من جديد في صناعة التاريخ من الأساس، وتؤدي واجب الشهود الحضاري على الناس.

وحيث إن رأس المائة مجمل، بحيث يحتمل أن يكون في الأصل بدءا من هجرته عليه السلام، وهو الذي عليه جمهور العلماء، أو من البعثة النبوية، أو من سنة وفاته صلى الله عليه وسلم؛ واستنادا إلى تاريخ بوادر بعثة التجديد في القرن الماضي، إذ عانت مخاض التشكيل عقب سقوط الخلافة العثمانية عام 1343ه/1924م، وما رافق ذلك من اجتياحات الاحتلال لبلاد الإسلام(3)؛ فقد يصدق الزعم أن بعثة التجديد المقبلة، وباستصحاب ما يعرف واقع المسلمين من هزات، بعد الذي شرب من شر الويلات وخير الصحوات، قد جاوزت مرحلة النطفة والعلقة والمضغة، وعسى أن تكسى عظامها من مختلف فئات شبيبتها علما وحلما، حتى تصير مع منتصف القرن الخامس عشر الهجري، وقد كتب الله أجلها ورزقها وسعادتها، ودارت عليها المائة دورتها، ذلك الخلق الآخر، كواكب من المجتهدين العاملين في الفقهيات وفي غير الفقهيات، يحيون الموات بروح القرآن، ويبرؤون أكمه الغرب وأعمى الشرق بنور القرآن، تذكيرا وتبصيرا، بإذن الله.

العلاقة بين الاجتهاد والتجديد إنما هي علاقة تأسيس وتأصيل، إذ متى غاب الاجتهاد في العلم والعمل، كان تجديد الحال والمآل في حكم العدم. وهي أيضا علاقة تجسيد وتشكيل، إذ متى عطل المجتهد اجتهاده، بحيث لم يبرز أثره النافع في الناس، لم يكن مجددا على الحقيقة

بين الاجتهاد الفقهي والاجتهاد المعرفي

إذ التمايز بينهما باعتبارهما وقود التجديد الحضاري الإسلامي، جار على مستوى التعريف والمجال والموجبات والأولويات.

إن الاجتهاد الفقهي بما هو بذل الجهد من قبل الفقهاء المجتهدين، مستعينين بأهل الخبرة غالبا في مختلف التخصصات، من أجل تحصيل الأحكام الفقهية من أدلتها الشرعية استنباطا وترجيحا وتنزيلا؛ يكاد ينحصر مجاله في دائرتين واسعتين: دائرة المختلف فيه من ظنيات الأدلة المتعلقة بأفعال المكلفين، وما يتطلب ذلك من تجديد الاستنباط والترجيح، ثم دائرة القطعيات بقصد تجديد تحقيق مناطاتها، أي تنزيلها بمحالها اللائقة بها من جديد؛ بحيث يقطع ذلك كله عن الآثار السلبية التي علقت به عصر التقليد، وخصوصا ما كان منها بفعل تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين كما ورد في الحديث.

ذلك أن اختلاف البيئات باتساع رقعة الإسلام، فضلا عن بروز نوازل جديدة بتغير أنماط العيش وتعقد علاقات المجتمع، ناهيك عن موجب تجديد تدين الأمة وتحصين قيمها دفعا لتيار العولمة الجارف؛ كل ذلك يفرض -فيما يفرض- ابتداء إصلاح مناهج تدريس العلوم المفيدة في صناعة المجتهد، وتفعيل مؤسسات الاجتهاد الجماعي مع إيلائها حق ممارسة السلطة الاجتماعية والتربوية في الأمة، ثم التقريب بين المذاهب الفقهية بتنمية المتفق عليه والإعذار في المختلف فيه.

وأما الاجتهاد المعرفي بما هو استفراغ الوسع من قبل العلماء المتخصصين في غير الفقهيات، تدبرا لآي الخالق وتفكرا في أحوال المخلوق، فإن مجاله يتسع اتساع ما في الكتابين المسطور والمنظور من حقائق الوجود، وهو مُنصب أساسا على استكشاف مظاهر التوافق بين الكونين المتلو والمجلو، إبرازا لدقائق الإعجاز الإلهي ودلائل النبوة المحمدية، إذ منزل القرآن هو خالق الأكوان جل وعلا.

ولعل تحدي التخلف المعرفي الجاثم منذ زمن على عقل الأمة وقلبها، من أكبر موجبات هذا الاجتهاد، مما يستدعي بذل قصارى الجهد لإحياء دورها الريادي في المجال العلمي، عسى أن تتخلص من إدمان الاستهلاك التقني وغير التقني، فتقتحم عقبة الإنتاج الإبداعي، وتوظف نتائج البحث العلمي المعاصر التوظيف الإيماني درءا لاختلالات التوازن البيئي.

بيد أن ذلك كله يقتضي -فيما يقتضي- ابتداء رفع العجز المادي عن مؤسسات البحث العلمي، ومواكبة برامج التعليم لما جد من نتائج العلم حقائق ونظريات، ناهيك عن ضرورة توفير الباءات لتنمية ذوي المواهب والكفاءات في مجالي البحث والإبداع.

وعسى أن يصدق العزم من لدن أولي العزم من شبيبة الأمة، مثلما صدق من شيوخ علمائها ومجتهديها الأفذاذ، أحياء وأمواتا، فتستعيب موجبات الاجتهادين، وتحقق أولوياتهما، إذ في ذلك لدعامة كبيرة لتغيير العمران بتثوير القرآن، استلهاما لبصائره وبشائره، وتزكية بمكارمه وفضائله.

الاجتهاد والتجديد بين الضوابط والخصائص

إذ كل من الاجتهاد والتجديد في الإسلام منضبط بضوابط يفيض عن كل منها ما يناسبه من خصائص، ويمكن تلخيص أهم ذلك في الآتي:

1- الضابط التأصيلي:

ويراد به إرجاع صور الاجتهاد وعزائم التجديد إلى أصول الشرع أدلة وقواعد، حتى يندرج كل منها تحت أصله اللائق به. ويفيض عن هذا الضابط خاصية الارتكاز على الوحي باعتباره الهدى المنهاجي الخالص "إن هدى الله هو الهدى" ولذلك لا يقدم، ولا ينبغي أن يقدم عليه شيء من مصادر المعرفة الأخرى، إذ هو موافق للحقائق اليقينية، مطابق لها سواء بطريق التصديق، أو بطريق الهيمنة، ومن ثم فأي تعارض متوهم مع ما جاء به نص الوحي، ينبغي أن تجري عليه قاعدة فضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله "اتهام النفس قبل اتهام النص".

2- الضابط الإبداعي:

ويراد به الاجتهاد في كشف سبل المعرفة المجددة لمظاهر الاستخلاف في كنف صلاح العمران، ويفيض عنه خاصية الأخذ بالأسباب المودعة في السنن الكونية والاجتماعية، إذ هي سنن يقينية ثابتة "ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا".

ولعل من نماذج هذا الأخذ الإبداعي رسم علماء المسلمين خرائطهم على أساس كروية الأرض، بعد تدبر موارد هذه الحقيقة في القرآن تنصيصا وتلويحا، وذلك بعد أن ساد الاعتقاد عند غيرهم أنها مسطحة؛ ناهيك عن مشروع العلامة ابن خلدون في فلسفة الاجتماع والحضارات، والشاطبي في المقاصد وغير ذلك من مشاريع مجددي علماء الإسلام المنبنية أساسا على تدبر القرآن والتفكر في أحوال العمران.

3- الضابط الإصلاحي:

ويراد به إثمار كل من الاجتهاد والتجديد في الإسلام ما فيه صلاح العقول وتزكية النفوس وتهذيب العوائد، ويفيض عنه خاصية الدعوة إلى الخير، إذ هي سبيل نشر الصلاح والفلاح بين الناس، على عكس التفكير الشيطاني نحو تفكير الوليد بن المغيرة في ما يصرف به الناس عن القرآن باتهامه رسول الله ﷺ بالسحر "إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر، ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يوثر إن هذا إلا قول البشر".

1- ينظر مختار الصحاح : جدد.

2- أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة.

3- ينظر الفطرية للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله ص -68 70.

التبليغ عند رسولنا ﷺ (تتمة)

بأيدينا، وقد كان رسول الله ﷺ يدرك هذا أكثر من غيره، ولكنه كان يعيش حياته الشخصية بشكل بسيط جدا.. وفي الحقيقة إنه ما كان يعيش لنفسه بل لغيره. ألم يكن تمثيله لدعوته بهذه الكيفية من أكبر عوامل جذب الأرواح إليه؟

إن في حياة الرسول ﷺ وسلوكه وتصرفاته وطراز حياته دروسا قيمة للدعاة. أجل، فإن الشرط الأساسي للنفوذ إلى القلوب هو تطبيق الدعوة ومبادئها على النفس أولا وقبل كل شيء كما فعل ذلك رسول الله ﷺ.

إذا أردت أن تشرح لأحدهم معنى مخافة الله والبكاء من خشيته، فعليك أولا أن تقوم في الليل وتبلل سجادتك بالدموع. في نهار تلك الليلة وعندما تدعو الناس ستتعجب من مدى تأثير كلامك عليهم، وإلا ستتلقى صفعة من الآية الكريمة ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾(الصف : 2) فتلاقيك الخيبة في التأثير على الناس.

1- "المسند" للإمام أحمد 5/256-257

2- "المسند" للإمام أحمد 4/422

3- مسلم، فضائل الصحابة، 131، "المسند" للإمام أحمد 2/136، 4/422، 425

4- البخاري، المظالم، 21، تفسير سورة المائدة 10، مسلم، الأشربة، 4، "المسند" للإمام أحمد 3/217

5- "الرسول" لسعيد حوى 1/19، وانظر لرواية أخرى إلى : "الإصابة" لابن حجر 2/307

6- "الأسرار المرفوعة" لعلي القاري ص 193

7- الترمذي، القيامة، 42، ابن ماجة، إقامة الصلاة، 174، الأطعمة، 1، الدارمي، الصلاة، 156، الاستئذان، 4، "السيرة النبوية" لابن هشام 2/ 163-164

8- تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/164، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي 4/197

9- البخاري، التهجد، 6 مسلم، صفات المنافقين، 81

10- تحسست : أي تطلبته. (المترجم)

11- إني لفي شأن : تعني أمر الغيرة.(المترجم)

12- أي في السجود. (المترجم)

13- مسلم، الصلاة، 221، 222، الترمذي، الدعوات، 75، 112، النسائي، الطهارة، 119، التطبيق، 47، أبو داود، الصلاة، 148، الوتر، 5، ابن ماجة، إقامة الصلاة، 117، الدعاء، 3 "المسند" للإمام أحمد 1/96، 118

14- "السيرة النبوية" لابن هشام 1/313-314، "البداية والنهاية" لابن كثير 3/80

15- "المسند" للإمام أحمد 2/231، "مجمع الزوائد" للهيثمي 9/19-20

16- قرظا : ورق شجر يدبغ به. (المترجم)

17- أهب : جمع إهاب وهو الجلد الذي لم يدبغ. (المترجم)

18- البخاري، تفسير سورة(66) 2، مسلم، الطلاق، 31

التمويلات البنكية البديلة بالمغرب : الواقع والتحديات

د. محمد الوردي
alouardi1972@gmail.com

لقد أضحى الاقتصاد في واقعنا المعاصر واحد من المقومات الأساسية التي لا محيد عنها لأي أمة تضطلع لتحقيق الريادة، وتثبيت دورها ومكانتها ضمن الأمم، خاصة في ظل التدافع الحضاري، والتنافس الاقتصادي وكذا المعرفي الذي أصبح سمة العصر. وإذا كانت العولمة بمختلف مظاهرها وتجلياتها، وكذا آليات عملها، أصبحت واقعا ملموسا لا يمكن إغفال ما قد يترتب عنها من سلبيات، خصوصا تلك التي تمس جانب الهوية الثقافية، وكذا القيم الإنسانية والحضارية، فان الوضع أصبح يستلزم بالضرورة الحفاظ على القيم الدينية والتمسك بها، ثم تفعيل مبادئ الشريعة الإسلامية، وتنزيل أحكامها على ارض الواقع في مختلف المجالات، وعلى كافة المستويات. فالمنهج الإسلامي بكل مكوناته يعتبر منهجا عمليا أصيلا ومتميزا، ويمثل سياجا منيعا يحفظ للمسلم كرامته، بل وللأمة عزتها ومكانتها.

من تاريخ التمويلات البنكية البديلة في المغرب

ويعتبر الاقتصاد الإسلامي بمختلف تجلياته، أحد الجوانب المعرفية والمقومات العملية التي لا يمكن تجاهل دورها وفعاليتها، خصوصا في ظل المتغيرات والمستجدات الاقتصادية المعاصرة. فعلى سبيل المثال نجد أن الصيرفة الإسلامية استطاعت أن تحجز لنفسها موقعا لا يستهان به ضمن المؤسسات الاقتصادية العالمية ذات التاريخ العريق والتجربة الطويلة،بل الأكثر من ذلك أنها تمكنت من الصمود أمام تأثيرات الأزمة العالمية الاقتصادية وتداعياتها، بحكم تميز مبادئها وخصوصيات آليات عملها، والتي تقوم بالأساس على الاستثمار الفعلي من خلال تصحيح دور النقود كوسيلة للاقتصاد الحقيقي عوض الاتجار فيها أو اتخاذها سلعة تقوم بثمن هو سعر الفائدة، بالإضافة إلى اعتمادها على أسلوب المشاركة في الربح والخسارة بناء على قاعدة الغنم بالغرم، واجتناب العمل بنظام المشتقات المالية والتي تقوم على الغرر والقمار والاحتكار، وكلها معاملات محرمة من منظور الشريعة الإسلامية.

ويعتبر المغرب من بين الدول الإسلامية التي انفتحت على التطبيقات الاقتصادية الإسلامية المعاصرة، وذلك من خلال اعتماده في السنوات الأخيرة على جملة من المنتجات أو الصيغ الشرعية في مجال الاقتصاد الإسلامي، مثل المرابحة والإجارة والمشاركة. والجدير بالذكر أن المغرب على الرغم من أنه تأخر نسبيا على مستوى الانفتاح على التمويلات الإسلامية -مقارنة مع كثير من الدول العربية والإسلامية- فهو مع ذلك أسهم بشكل فعال في دعم حركة إنشاء المصارف الإسلامية بمختلف الوسائل، نذكر منها استضافته لكثير من المؤتمرات السياسية والندوات العلمية المرتبطة بمجال التمويل المصرفي. فعلى سبيل المثال نجد أن فكرة إنشاء البنك الإسلامي للتنمية عرفت ميلادها بالرباط من خلال اجتماع المؤتمر الأول بتاريخ 25 شتنبر 1969. كما تم تنظيم ندوة التطبيقات الاقتصادية الإسلامية المعاصرة بمبادرة من الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في الاقتصاد الإسلامي- والتي تمثل أبرز إطار معرفي يحرص على تنوير الرأي العام بأهمية الاقتصاد الإسلامي، ودوره في تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية - وبتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة وذلك مابين 5و8 ماي 1998 م في مدينة الدار البيضاء. ومن بين التوصيات التي خلصت إليها الندوة، المطالبة بتعديل القانون البنكي بشكل يتيح الفرصة أمام البنوك المغربية لفتح شبابيك للمنتجات المصرفية المطابقة لأحكام الشريعة الإسلامية، وتأسيس مؤسسات مصرفية تعمل وفق هذه الأحكام بقصد تعبئة الموارد العاطلة وتوجيهها نحو الاستثمار، ثم إدخال صيغ مطابقة الشريعة الإسلامية في مشروع قانون التمويلات الصغرى (1).

ويمثل تاريخ فاتح أكتوبر 2007 منعطفا أساسيا ومرحلة مهمة، حيث تم من خلالها الإعلان عن الانطلاقة الرسمية لبدء عملية تطبيق بعض صيغ التمويل الإسلامية، والتي أطلق عليها اسم المنتجات البديلة. وقد بدأت عملية تسويقها من طرف المؤسسات البنكية المغربية، ويتعلق الأمر ب"دار الصفاء" التابعة لـ التجاري وفا بنك، ثم البنك المغربي للتجارة والصناعة، والبنك الشعبي. وهذه الصيغ كما أسلفت الذكر هي الإجارة والمشاركة والمرابحة.

تعريف الإجارة والمشاركة والمرابحة وأهميتها

ويقصد بالإجارة حسب بنك المغرب "كل عقد تضع بموجبه مؤسسة الائتمان، عن طريق الإيجار منقولات أو عقارات معلومة ومحددة ومملوكة لها تحت تصرف احد العملاء لاستعمال مسموح به قانونا". بينما يقصد بالمشاركة : "كل عقد يكون الهدف منه اشتراك مؤسسة الائتمان بمساهمة في رأسمال شركة موجودة أو قيد الإنشاء من أجل تحقيق الربح.يشارك الطرفان في تحمل الخسائر في حدود مساهماتهما، وفي الأرباح حسب نسب محددة مسبقا بينهما". أما المرابحة فهي : "كل عقد تقتني بموجبه إحدى مؤسسات الائتمان على سبيل التمليك، وبناء على طلب أحد العملاء، منقولا أو عقارا من أجل إعادة بيعه له بتكلفة الشراء مع زيادة ربح معلوم يتم الاتفاق عليه مسبقا".

ومما لاشك فيه أن اعتماد هذه الصيغ البديلة من شانه أن يعطي دفعة قوية ويساهم في تحريك دواليب الاقتصاد، وتحقيق تنمية على مستوى النسيج الاقتصادي الوطني، وذلك من خلال تعبئة الموارد المالية وفسح المجال أمام الكثير من الأشخاص الذين يدخرون أموالهم، ويمتنعون عن التعامل مع البنوك التجارية التقليدية بحكم أن هذه الأخيرة تتعامل بالربا أخذا وعطاء. كما أن هذا الأمر من شانه أن يشجع على الاستثمار، ويزيد من فرص العمل ومن نسب الإنتاج. لهذا يمكن القول إن انفتاح المغرب على هذه التمويلات البديلة يعتبر نقطة انطلاق ايجابية، ومكسبا مهما يستجيب لحاجات الأفراد ولمتطلبات الاقتصاد في أفق تطوير هذه التجربة بشكل تدريجي لتحقيق مقصد أسمى ألا وهو إنشاء بنوك إسلامية بالمغرب.

تحديات التمويلات البنكية البديلة بالمغرب

وثمة إشكال يطرح بخصوص هذه الصيغ التمويلية يكمن في كيفية تنزيل هذه الأدوات على مستوى الواقع، وتفعيلها بشكل ايجابي من خلال استحضار الضوابط الفقهية والمبادئ الشرعية عند التطبيق.بالإضافة إلى ضرورة مراعاة مبدأ المرونة على المستوى القانوني والإداري، وذلك من خلال الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات هذه الصيغ الشرعية وطبيعة الأحكام الخاصة بها. وفي هذا السياق تم تسجيل جملة من الملاحظات الجوهرية بخصوص مدى التقدم الحاصل على مستوى التطبيق نذكر منها أن الوتيرة التي تتقدم بها عملية تفعيل هذه الصيغ ما زالت بطيئة جدا، بحكم غياب الشروط الموضوعية التي تساعد في تحقيق الأهداف المسطرة في السابق. فحسب بنك المغرب فان قيمة المعاملات أو المنتجات المالية البديلة وصلت إلى حدود شهر مارس 2010 ما قيمته 700 مليون درهم(2). وتعتبر هذه النسبة هزيلة مقارنة مع حجم الاستثمارات السنوية بالمغرب، الشيء الذي يطرح أكثر من تساؤل حول أسباب ضعف حجم الدور التمويلي المنتظر تحققه على أرض الواقع. وإذا كان من الصعب على المستوى الاقتصادي تقويم تجربة ما في فترة وجيزة لم تصل بعد إلى حدود خمس أو ست سنوات على الأقل، لكنه مع ذلك تبقى عملية التقويم هذه مسألة ضرورية بحكم أنها تركز بالأساس على أهم الأسباب المباشرة ذات الارتباط الواضح بالتعثر الحاصل على مستوى تطبيق هذه الصيغ الشرعية، والتي يمكن إجمالها في العناصر التالية:

أ- غياب الحملات الاشهارية التي تعرف بهذه التمويلات، فقد انطلقت هذه الأخيرة بشكل محتشم، ولم تحظ باهتمام على مستوى الإعلام، الشيء الذي أثار تساؤلات المحللين الاقتصاديين الذين استغربوا بخصوص الصيغة التي انطلقت بها هذه التمويلات، نذكر من بينهم الخبير الاقتصادي المغربي الدكتور عمر الكتاني الذي قال بأن "هناك غموضاً في تفسير أسباب انطلاق هذه المعاملات، فالخطاب الرسمي يقول إنها جاءت تلبية لرغبات الجمهور في الانفتاح على أساليب جديدة في التعامل مع البنوك دون ذكر هويتها الإسلامية، ولا التشهير لها، وكأنها مولود غير شرعي لهذه البنوك يجب التستر عليه، مع العلم أن إنشاء بنوك إسلامية هو مطلب وضع على طاولة البرلمان المغربي منذ أزيد من عقدين"(3).

ب- ضعف التكوين إن لم نقل غيابه على مستوى الأطر والعاملين بالبنوك التقليدية في ما يرجع إلى حقيقة هذه المنتجات المالية الإسلامية، وما يرتبط بها من ضوابط وأحكام شرعية، وشروط فقهية دقيقة. فلا شك أن العمل بهذه المنتجات يقتضي بالضرورة ويستلزم بالأساس، أن يكون هناك تكوين فقهي شرعي متكامل، وكذا تأطير علمي وعملي للعاملين بهذه المؤسسات المالية، حتى يكونوا في مستوى تقديم هذه الأدوات التمويلية بطريقة صحيحة تراعي الضوابط الشرعية. ومن أجل ذلك يبدو أنه من الأفيد إنشاء معاهد عليا متخصصة في مجال الاقتصاد الإسلامي عامة والصيرفة الإسلامية خاصة، لدعم المؤسسات البنكية بأطر متخصصة تجمع بين المعرفة الشرعية المصرفية، والتكوين الفني والتقني المرتبط بالمجال الاقتصادي.

ج- غياب جهاز الرقابة الشرعية في البنوك التقليدية التي اعتمدت هذه الصيغ البديلة، فكما هو معلوم فان هيئة الرقابة الشرعية تعتبر ضرورية بالنظر إلى طبيعة المهام الملقاة على عاتقها والدور المنوط بها، والذي يتحدد على وجه الخصوص في الاشتراك في وضع نماذج العقود والعمليات الخاصة بالبنك، ثم التحقق من مشروعية معاملات البنك وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وإبداء الرأي فيما يعرض عليها من مسائل أثناء ممارستها لنشاطها.

د- تحديات ذات طبيعة قانونية وتنظيمية، حيث لوحظ على مستوى المساطير القانونية المتبعة، أن هناك مجموعة من التعقيدات الإدارية، وارتفاع كلفة هذه الصيغ التمويلية بسبب الضرائب المفروضة عليها.وعلى الرغم من بعض التعديلات التي تمت في السنة الماضية خاصة بالنسبة لصيغة المرابحة التي استفادت نسبيا من خلال حذف مسألة الازدواج الضريبي ثم تخفيض نسبة الضريبة على القيمة المضافة من 20٪ إلى 10٪، لكن مع ذلك تبقى هذه التمويلات البديلة أكثر تكلفة مقارنة مع التمويلات التقليدية أي القروض الربوية، وهو ما ينعكس سلبا على حجم أو نسبة الإقبال على التمويلات البديلة بحكم أن المواطنين غير قادرين على تحمل الكلفة المرتفعة لهذه التمويلات. كما نلاحظ أيضا غياب صيغة المشاركة على مستوى التطبيق العملي ليكتفى فقط بصيغتي الإجارة والمرابحة على وجه الخصوص، وهو ما يجعلنا نتساءل : ما جدوى التنصيص على تمويلات إسلامية دون تفعيلها على أرض الواقع؟

هـ- إغفال أو تجاهل لصيغ شرعية تمثل آليات عملية كفيلة بالإسهام في تحقيق تنمية مباشرة وتحفيزالمستثمرين للإقبال على جملة من الأنشطة الاقتصادية والمشروعات الاستثمارية، ومن ذلك مثلا صيغة المضاربة أو ما يسمى بالقراض من

تتمة ص : 17

لوحظ على مستوى المساطير القانونية المتبعة، أن هناك مجموعة من التعقيدات الإدارية، وارتفاع كلفة هذه الصيغ التمويلية بسبب الضرائب المفروضة عليها.وعلى الرغم من بعض التعديلات التي تمت في السنة الماضية خاصة بالنسبة لصيغة المرابحة التي استفادت نسبيا من خلال حذف مسألة الازدواج الضريبي ثم تخفيض نسبة الضريبة على القيمة المضافة من 20٪ إلى 10٪، لكن مع ذلك تبقى هذه التمويلات البديلة أكثر تكلفة مقارنة مع التمويلات التقليدية

أي القروض الربوية

المحجة

المفضل فلواتي
المدير المسؤول

almahajjafes@gmail.com

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

جامعة نصف شهرية

العدد : 363

17 شعبان 1432هـ - 19 يوليوز 2011 م

ملحق خاص

رمضان فرصتك للتزكية والترقية

هذا الملف

بعد أيام قليلة سيهل على أمة المسلمين شهر من أعظم الشهور، وموسم من أفضل المواسم إنه شهر رمضان :

– **شهر القرآن، فيه نزل القرآن،** وفيه أمرنا بتلاوة القرآن وتعاهده أكثر ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان﴾، فلا تفوتن عليك هذه الفرصة.

– **شهر التوبة والغفران، وفرصة منحها الله لعباده ليتوبوا،** فيتوب الله عليهم، ويستغفروا فيغفر الله لهم، فقد ثبت عن النبي ﷺ قوله : «من جاء رمضان ولم يغفر له فلا غفر الله له»، فلا تحرم نفسك أخي المسلم من هذه الفرصة.

– **شهر القيام ومناسبة للجد والحزم لمناجاة الله ليلا،** فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يشد مئزره ويوقظ أهله، وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فاحرص أخي المسلم أن تجعل من رمضانك فرصة لقيام ليله، وصيام نهاره، وتزكية نفسك بأخلاق رسول الله، وترقيتها في مدارج أولياء الله.

– **شهر الشكر والطاعة والقرب من الله،** فلا يفوتنك أن تكون من الذاكرين لنعماء الله عليك الشاكرين لأن بلغك رمضان وجعلك من أهله ومنحك فرصة أخرى للحياة، ووفقك لصيامه، فقد أثر عن النبي ﷺ أنه كان يدعو قائلا : «اللهم بارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان»، فاحرص أخي المسلم أن تجعل من رمضان فرصتك لتزكيتك بالحمد والشكر، وترقيها في مدارج القرب من الله، فالشكر منزلة الصفوة الأخيار من عباد الله ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.

– **شهر التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ في معاملة عباد الله،** شهر تدريب الجوارح ومجاهدتها على التخلي عن المفاسد كالغيبة والنميمة والسباب، والبذاء في القول، والفحش في العمل، والتحلي بكل الأخلاق الفاضلة من طيبوبة ولين وتواضع وكرم وجود وإحسان، ورفق فقد ورد عن النبي ﷺ قوله : «وإن سابه أحد فليقل : إني صائم»، فزك نفسك بمكارم الأخلاق، وانأ بها عن ذميمها وصن جوارحك عن كل سوء، واجعل كل يوم تصومه انتصاراً على النفس وارتقاء نحو المعالي.

– **شهر البذل والإنفاق والتصدق على عباد الله وإمائه،** فلا تنس أن تبذل من وقتك لمساعدتهم، ومن مالك لتدخل السرور عليهم، ومن علمك لتعلمهم وتهديهم ، وتدخل رحمة العلم والهداية إلى بيوتهم وقلوبهم، ولك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان ﷺ أجود ما يكون في رمضان.

– **شهر التقوى،** فقد جعله الله فرصة لنا لنحصل التقوى بكل معانيها العظيمة ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. فاجعل أيامه صياما وقياما وإنفاقا وشكراً فرصتك لاتقاء محارم الله تعالى، وابتغاء حلاله، والخوف منه جل وعلا «أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك»، فاتق الله تر عجبا، فلا تُحْرَمَن هذه الفرصة للتزكي بالصالحات والترقي في الخيرات.

أخي المسلم شهر رمضان فرصة للمؤمنين ما بعدها فرصة، ومنحة من الله جل وعلا لعباده ليزكوا أنفسهم بالطاعات ويترقوا في أعلى الدرجات، وبين يديك هذا الملف نرجو المولى جل وعلا أن يجعله مساعدا لنا جميعا على استثمار هذا الموسم خير استثمار في تزكية نفوسنا وترقيتها في مدارج القرب من الله، فاللهم زك نفوسنا برمضان، ورقنا إليك برمضان، وبارك لنا في صيام رمضان، وقيام ليالي رمضان، يا رحيم يا رحمان.

● كيف نستقبل رمضان؟ — سليمان نمير ـــــ ص : 10

● توبة العبد في رمضان؟ — د. عبد الحفيظ الهاشمي ـــــ ص : 10

● شكر العبد في رمضان — د. إبراهيم بن البو ـــــ ص : 12

● من صور الإنفاق في رمضان — د. عمر آجة ـــــ ص : 13

● أين نحن من أخلاق الصيام؟ — د. عبد اللطيف احميد ـــــ ص : 14

● رمضان شهر القرآن — د. محمد بن موسى الشريف ـــــ ص : 15

● حفظ السمع والبصر واللسان في رمضان — د. مصطفى هاشمي ـــــ ص : 11

من أحكام صيام رمضان ص : 16

كيف نستقبل رمضان؟

سليمان نمير

إن المؤمن العاقل الفطن؛ هو الذي يغتنم الفرص التي لا تتكرر حتى يخرج من هذه الدنيا برضا ربه عز وجل، فقد قال رسول الله ﷺ : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»(أخرجه الترمذي وغيره عن شداد بن أوس). ولهذا فإن الصحابة -رضوان الله عليهم- لما استمعوا من النبي ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب و استشعروا عمقها و شمولها قالوا: (كأنها موعظة مودع فأوصنا) فاغتنموا الوداع لاستجماع وصية قد لا تتكرر مناسبتها،إن هذا يدل على أن استشعار الوداع يعطي دافعا قد لا يتوافر في عدمه، و من هنا ندرك السر في نصيحة رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع»(ابن ماجة وأحمد).

تصوروا وتخيلوا أيها الإخوة والأخوات أننا سنصلي آخر صلاة، ثم سنودع الدنيا بعدها، كيف ستكون في تمامها وخشوعها وركوعها وسجودها؟ فوالله الذي لا إله غيره؛ ستكون في شدة الإخلاص والخشوع والصدق مع الله.

إن رسول الله ﷺ يعلمنا بهذا الهدي -والله- أعلم كيف نتخلص من آفة تحول العبادة إلى عادة، هذا و الله عين ما أصابنا أيها الإخوة الكرام حيث أصبح صيامنا وصلاتنا بل وحجنا وعمرتنا عادة قد اعتدنا عليها، ففقدنا بذلك حلاوة العبادة، فلماذا لا نستحضر روح الوداع في عباداتنا كلها؟ خاصة أن الموت يأتينا بغتة ولا نعلم زمانه ولا مكانه.

إن رمضان يحل علينا ضيفا مضيافا، يكرمنا إذا أكرمناه، فتحل بحلوله البركات و الخيرات و النفحات فهو ضيف لأنه يأتينا مرة في السنة، لكنه مضياف لإتاحته لنا الفرصة لكسب الحسنات و الأجر الجزيل، وربما يكون الواحد منا في ضيافته للمرة الأخيرة، فهلا أكرمناه، وتعرضنا لنفحاته، واغتنمنا فرصة وجوده معنا.

إن استقبالنا لرمضان المبارك استقبال المودعين، لا ينافي استقبالنا له ونحن فرحين مستبشرين، فقد كان النبي ﷺ يبشر أصحابه برمضان بشرى التشوق لبركاته، والتشوف لرحماته في كل ساعاته وأوقاته، فيقول لهم: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر؛ من حرم خيرها فقد حرم»(رواه أحمد)، وقال صلوات ربي وسلامه عليه: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(متفق عليه)، وقال: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(متفق عليه)، وقال: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف يقول الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي..؛ (متفق عليه)، وقال: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(البخاري).

لنتأمل أيها الإخوة و الأخوات في هذه الكلمات النبوية المملوءة بالمعاني، ولنتخيل أن فرصة شهر هذه صفاته ونفحاته؛ جاءتنا فلم نغتنمها على أمل أنها ستعود و تعود، و لم تكن عبادتنا فيها عبادة مودع حتى فاتتنا أوقاتها، ألن نستحق وقتها أن نوصف بأننا محرومون؟

لقد كان سلفنا الصالح يترقبون الشهر الكريم راجين تمامه لإتمام صيامه وقيامه متقلبين في أيامه بين الطاعات والعبادات فكان دعاؤهم : «اللهم سلمنا إلى رمضان، وسلم لنا رمضان، وتسلمه منا متقبلا».

إن هذا الاستعداد الصادق لاستقبال رمضان، وحسن ضيافته، يدل على قلوب حية تعي عن الله كلماته في تعظيم الشهر، وتحمل عن الرسول ﷺ هديُه فيه، يقول ابن رجب رحمه الله: (بلوغ شهر رمضان و صيامه نعمه عظيمة على من أقدره الله عليه، ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم ثم مات الثالث على فراشه بعدهما، فرؤي في النوم سابقا لهما، فقال النبي ﷺ : «أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك، رمضان فصامه، فوا الذي نفسي بيده،إن بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض»(رواه أحمد) ولله در من قال:

أتى رمضان مزرعة العباد
لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا
وزادك فاتخذه للمعاد
ما زرع الحبوب وما سقاها
تأوه نادما يوم الحصاد

هكذا يجب علينا أن نستعد ونستقبل رمضان بهذه الروح القوية وبهذا الإيمان الصادق، حتى نعيش حلاوته وطلاوته ولكن الغريب في الأمر أن المسلمين في هذا الزمان؛ أو من ينتسبون إليهم بعيدون كل البعد عن هذا المنهج النبوي، فهم كذالك يستعدون لرمضان ويستقبلونه؛ ولكن على طرازهم الجديد المملوء باللهو واللعب!! فهم يستقبلونهم بأنواع المأكولات و المشروبات!! والأغاني والمسلسلات!! والأفلام والمسرحيات!! والليالي والسهرات!! وقتل الساعات في اللهو و المحرمات!!

وكأن هذا الشهر المبارك -شهر القرآن- إنما هو شهر لعب ولهو، ومتعة وتفريج للهموم - كما يظنون- ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فليكن صيامنا -أيها الإخوة والأخوات لهذا العام- صيام العارفين بالله، ولنحقق قول رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيمانا و احتسابا» حتى ننال الجزاء العظيم وهو مغفرة الذنوب.

فاللهم لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالصيام والقيام..

توبة العبد في رمضان

د. عبد الحفيظ الهاشمي

أخي المسلم يا من تقيدني وإياه المعاصي، ها قد أقبل علينا شهر مبارك كريم يفسح الله تعالى لنا فيه فرصة للأوبة والتوبة، لنلوذ برحابه، ونتقي بعفوه وغفرانه شدة عقابه. فرمضان موسم تكفير الذنوب، والصبر والتزكية، والشكر والدعاء المستجاب، وشهر مضاعفة الأجر.. إنه شهر غنم للمؤمن ونقمة للفاجر وشهر تربية للمجتمع.

قال النبي ﷺ : «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(أخرجه البخاري ومسلم)، وقال ﷺ : «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(أخرجه البخاري ومسلم) فلنبادر ما دامت نفوسنا في وقت المهلة، ولم يباغتها هادم اللذات ومفرق الجماعات على حين غفلة، فيصير كل منا إلى قول:"يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين﴾(الزمر : 56).

لقد فرض الله عز وجل الصيام ليتحرر الإنسان من سلطان غرائزه، وينطلق من سجن جسده، ويتغلب على نزعات شهوته، ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾(البقرة : 182) فليس عجيبا أن يرتقي روح الصائم ويقترب من الملأ الأعلى، ويقرع أبواب السماء بدعائه فتفتح، ويدعو ربه فيستجيب له، وياديه فيقول: "لبيك عبدي لبيك.." وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ : «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والإمام العادل، ودعوة المظلوم...»(رواه الترمذي وحسنه، وأحمد وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما)

إن الله تعالى جعل هذا الشهر المبارك فرصة للقلب لتنزاح عنه غشاوة الغفلة وران القسوة، وللروح لتتحرر من ضيق الطين، وتتمدد في آفاق التسبيح والتحميد والتكبير..وللجوارح لتحفظ من الزيغ والطغيان، وتفيء إلى السلامة والطمأنينة والأمان. وفرصة للنفس لتنطلق من قيود الشهوات وعقال النزوات.. وتتزكى بالصبر والنصب، وتؤوب إلى الباري جل وعلا في ذل وانكسار ورهب ورغب..

ذلكم هو رمضان الأبرك، لم يشرعه المولى عز وجل في الإسلام مشقة للناس، ولا تعسيرا عليهم، وهو سبحانه القائل: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾(البقرة : 185)، وإنما فرضه تدريبا للمسلم لينهض للكمال الأعلى ، ويعكف على مرضاة الله تعالى مهما تحمل من العنت ومكابدة الناس..فالصيام تعبد بالصبر و﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾(الزمر : 10)، إنه "مشقة محدودة لتدريب الناس على المعنويات العالية، وتعليمهم كيف يفعلون الخير ويتركون الشر، أو كيف يعشقون الحسن ويكرهون القبيح، أو كيف يسارعون إلى مرضاة الله ويفرون من مساخطه"(1).

ولما كان الشر معجونا بطينة الآدمي قلما ينفك عنه، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة حسناته. وجب على المذنب إن كان جرى عليه ذنب إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق أن يبادر في هذا الشهر العظيم إلى التوبة والندم، والاشتغال بالتكفير فيدرأ بالحسنة السيئة فيمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا. فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب، وإما باللسان وإما بالجوارح، ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه، إن الله غفور رحيم﴾(المائدة : 39). فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو. ويتذلل تذلل العبد الآبق ويخفض من كبره فيما بين العباد، وكذلك يضمر بقلبه الخير للمسلمين والعزم على الطاعات. وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول: "رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي"، وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار المأثورة. وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات، وبالجملة فينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات، قال ﷺ : «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف وتمنى على الله عز وجل الأماني كان بين خطرين عظيمين: أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو، والثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو، فيأتي الله بقلب سقيم، ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾(الحجرات :11) ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم.

فاربأ بنفسك أيها المسكين أن تبقى هملا من الغافلين، وحاذر أن تظل متسكعا في الآثام مع المستكبرين، فأن تتوب إلى الله تعالى يعني أن تتطهر، وترتقي في معارج الطهر المفضي إلى محبة الغفور الرحيم، وتستظل بظلال النور السني الواقي من حر الجحيم، ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾(البقرة/222)، فأن تتوب إلى بارئك دليل يقظة فطرتك وسلامة طويتك، وعنوان تشرب الخشية شغاف قلبك.. و﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾(الأنعام/15)، فعد إلى رشدك أيها التائب واستقم كما أمرت، وداوم العمل الصالح واقرنه بالصدق والإخلاص تتذوق حلاوة الإيمان، واعلم أن رمضان مناسبة مواتية لإصلاح ما فسد فيك بمرور الأيام، ومطهر لما علق في جوانح نفسك من درن الذنوب والآثام.. فتب إلى الله تعالى توبة نصوحا تتجدد فيك مشاعر التقى، وتنهض فيك بشائر الهدى.. ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار﴾(التحريم : 8).

وختاما اعلم أخي التائب أن توبتك توفيق من الله عز وجل فحافظ عليها بعد رمضان، وسائر الأوقات فهي "إقلاع في الحاضر يقطع، وندم على الماضي يدفع، وعزم على عدم العود يمنع"(2)، وبلوغك شهر رمضان الأبرك في حد ذاته هو توفيق التوفيق، عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة»(رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد) فلا تبخس هذه النعمة حقها من الشكر بأداء ما ألزمت بأدائه، ولا تنقض الأيمان بعد توكيدها، واذكر قول المولى جل وعلا:"يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾(المائدة : 1)، ولا تكن ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا﴾(النحل : 92).

واصطبر لعبادة مولاك في العسر واليسر والمنشط والمكره، واتق الله تعالى حيث ما كنت تكن من المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.. ﴿وتوبوا إلى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون﴾(النور : 31).

1-"هذا ديننا"، محمد الغزالي ص: 127
2-"معالم في طريق التوبة"،إبراهيم بن صالح الدحيم، "البيان"، العدد:252، السنة:23، رمضان 1429هـ/سبتمبر2008م، ص:33

17 شعبان 1432هـ - 19 يوليوز 2011م - العدد : 363

حفظ السمع والبصر واللسان في رمضان

د. مصطفى هاشمي

الحمد لله الذي من على عباده بنعمة الأعضاء والجوارح وأرشد إلى إعمالها في طاعته فقال عز من قائل: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ، وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ، وهديناه النَّجْدَيْنِ﴾(البلد : 8- 10)، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على معلم الناس الخير، الذي وجهنا إلى نوع الصيام المطلوب؛ وهو الجمع بين صيام الظاهر والباطن وصيام الجوارح، قال ﷺ : «من لم يدَعْ قولَ الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(أخرجه البخاري).

فمما لا شك فيه أن من أعظم نعم الله تعالى على العباد بعد نعمة الهداية للإسلام أن جعلهم بشرا أسوياء ومنحهم -بفضله وكرمه- آذانا تسمع، وأعينا تبصر، وألسنة تنطق وتتكلم، ولا تكتمل بشرية العبد إلا إذا حافظ على جوارحه وسخرها في طاعة الله تعالى وجنبها المعاصي الظاهرة والباطنة.

وإن من الأخطاء التي قد يقع فيها بعض المسلمين عدم الاكتراث لزلات الجوارح في أيام رمضان ولياليه، فتراهم يطلقون العنان لآذانهم وأعينهم وألسنتهم، فيستمعون إلى ما لا يجوز لهم وينظرون إلى المحرمات ويقعون في آفات اللسان الكثيرة، وكل ذلك نهى الشرع عنه لضرره على العباد في العاجل والآجل، ومن ذلك عدم تمام أجر الصيام والحرمان من الثواب العظيم، والأوْلى بالمسلم أن يكون أشد حرصا على حفظ جوارحه آناء الليل وأطراف النهار في رمضان، ويستعملها في اغتنام الأوقات في الطاعات ليحصِّل بركة هذا الشهر الكريم والأجرَ المضاعف فيه، فيجتهد فيه بأنواع العبادات والقربات ليتخلق بصفة التقوى ويحقق بذلك أهم مقاصد الصيام،(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾(البقرة : 181).

لقد وهب الله تعالى الجوارح للإنسان واسترعاه إياها، وجعلها مهيأة لفعل الطاعات وابتلاها بشهوة من الشهوات اختبارا وامتحانا ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾(الإنسان : 2)، ولا نجاح للعبد في هذا الابتلاء إلا بامتثاله توجيه الشارع الحكيم بحفظ جوارحه وبإعمالها في الطاعات وتجنيبها المعاصي.

إنه لابد من مجاهدة النفس لضبط جوارحنا وحفظها في رمضان وسائر الأيام، مستحضرين جوامع كلِم رسول الله ﷺ في التربية النبوية التي بينت أن من أصول صلاح الجوارح صلاحُ القلب وكفُّ أذى اللسان، فالمرء بأصغريْه قلبه ولسانه كما قال الشاعر:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

قال بعض السلف: أهونُ الصيام تركُ الطعام والشراب، وقال جابرٌ: إذا صُمتَ فليصم سمعُك وبصرُك ولسانُك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء، وقال الشاعر في هذا المعنى:

إذا لم يكنْ في السمع مني تصاونٌ
وفي بصري غَضٌّ، وفي منطقي صمتُ
فحظّي إذًا من صومي الجوعُ والظمأ
فإن قلتُ: إني صمتُ يومي فما صمتُ

حفظ الأذن

إن مما يحز في النفس أن ترى كثيرا من المسلمين في رمضان يعكفون على أصناف كثيرة من اللغو والاستماع إلى لهو الحديث، وإن من منع نفسه الطعام والشراب والشهوة ثم أطلق لأذنه العنان في ارتكاب المعاصي والذنوب فأصغى بها إلى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض في الباطل أو ذكر مساوئ الناس، فإنه لم يحقق التقوى التي من أجلها شرع الصيام، ولا تظنن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع ففي الخبر أن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين.

قال جابرٌ: إذا صُمتَ فليصم سمعُك وبصرُك ولسانُك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء

وإنما خلقت لك الأذن لتستمع بها إلى كلام الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ وحكمة العلماء، وتستفيد بها العلم الشرعي الذي يوصلك إلى النعيم الدائم في جنة المأوى، ويكون كل ذلك عونا لك على التقوى وتزداد بصيامك - بإذن الله - استقامة وصلاحاً وتزكية، ولكنك إذا أصغيت بها إلى شيء من المحرمات انقلب ما كان وسيلة للفوز طريقا للهلاك، بسبب استعمال النعمة في المعاصي كفرانا لها، وعدم استعمالها في الطاعة شكرا لواهبها.

وقد ورد في الكتاب ما يحذر من خطورة وعواقب سماع اللغو والباطل ولهو الحديث وأن ذلك من إضلال الشيطان لابن آدم، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(لقمان : 5)، وقوله الله تعالى : ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾(الإسراء : 64).

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن صوت إبليس :"هو الغناء والمزامير واللهو الباطل" وكذا قال الضحاك ومجاهد.

ولقد أمر الله عباده المؤمنين بدلا من ذلك بالانصات للقرآن الكريم وبالاستماع للقول الحسن لأجل الاتباع والامتثال فقال عز من قائل: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾(الأعراف : 204)، ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾(الزمر : 16- 17).

حفظ العين

أما العين فإنما خلقت لك لتهتدي بها وتستعين بها في حاجاتك، وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسماوات، وتعتبر بما فيها من الآيات فاحفظها من أن تنظر بها إلى محرم أو إلى صورة بشهوة نفس أو تنظر بها إلى غيرك بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم.

فالعين مرآة القلب وإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق العبد بصره أطلق القلب شهوته وإرادته ونقش فيه صور تلك المبصَرات فيشغله الفكر فيها عما ينفعه في الدار الآخرة.

والبصر نعمة عظيمة وأداة خير إذا استعمل فيما شرع له النظر كالتفكر في ملكوت الله وآياته في الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والارض﴾(يونس : 101)، وقد يكون البصر أداة شر على صاحبه إذا استعمله فيما لا يرضي الله، وذلك بالنظر إلى المحرمات وتتبع العورات والتطلع إلى فضول زينة الحياة الدنيا والنظر إليها بإعجاب، قال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾(الحجر : 88)، كما أمر الله المؤمنين بغض أبصارهم كما في قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن﴾(النور : 30 - 31).

إن النظر إلى المحرمات من أعظم الفتن التي قد يعاني منها المؤمن على وجه العموم والشاب على وجه الخصوص والشاب غير المتزوج على وجه أخص حيث يواجه هذه المشكلة حيثما توجه؛ في الشارع والسوق والعمل وعلى الشاشة والشبكة العنكبوتية...الخ، وإطلاق البصر سبب لأعظم الفتن، فقد ينخرم به صوم الصائم، وقد يفسد بسببه الناسك العابد، وقد يؤدي بأناس إلى السقوط في مستنقع الفاحشة والعياذ بالله.

ذلك أن النظر أصل كثير من الحوادث التي تصيب الإنسان، فالنظرة تولد الخاطرة، و الخاطرة عند التركيز عليها في الذهن تولد الفكرة، والفكرة تولد شهوة، والشهوة تولد إرادة الفعل، ثم تقْوى هذه الإرادة فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولابد ما لم يمنع مانع، ولهذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده، وصدق الشاعر إذ قال:

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر

حفظ اللسان

إن المؤمن -كما تقدم- مأمور بحفظ جميع جوارحه ولكن نصوصا شرعية كثيرة جاءت مؤكدة على حفظ هذا العضو الصغير لأن خطره شديد وأذاه كبير؛ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(ق :18)، وقال ﷺ : «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»(رواه البخاري ومسلم).

فالمرء قد يتكلم بكلمة ما يتبين فيها ولا يدري ما ضررها ولا عواقبها قد توره المهالك وتوقعه في سخط الله تعالى، فكيف بمن يتكلم بالكلام الباطل ويقترف لغو الحديث عامداً متعمداً وخصوصا في شهر رمضان؟

ولقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن حصائد الألسنة هي من أهم الأسباب التي تكب الناس في النار على وجوههم، كما ورد في حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه الوارد في سنن الترمذي.

لذلك فحري بالمسلم في رمضان ألا يطلق العنان للسانه ويكفه عن الكذب وقول الزور والفسق والنميمة والغيبة والسب واللعن وخلف الوعد والحلف والأيمان الكاذبة والمزاح والسخرية والاستهزاء بالناس، والمراء والجدال ومدح النفس وعن كل إثم قد يقترفه المرء بلسانه، فالكلام - كما نص على ذلك العلماء - إما لك أو عليك، أو لا تدري أهو لك أم عليك، وفي هذه الحالة تُفضَّل السلامة إذ لا يعدلها شيء، والسلامة لا تكون إلا بالسكوت، ولا ريب أن القول السديد - حين يتعين - أفضلُ من السكوت؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(الأحزاب : 70- 71)، و﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه أجراً عظيماً﴾(النساء : 113).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "الصيامُ جُنَّةٌ، فإذا كان يومُ صومِ أحدكم، فلا يَرْفُثُ ولا يفسق، ولا يجهل، فإن سابَّه أحدٌ فليقل: إني امرؤٌ صائمٌ".

الجُنَّةُ: ما يستر صاحبه ويحفظه من الوقوع في المعاصي، والرَّفثُ: الفُحْشُ، ورديءُ الكلامِ.

ألا وإن اللسان وسيلة عظيمة إلى أبواب الخير الكثيرة في رمضان فبه يذكر العبد ربه وبه يتلو القرآن العظيم كتاب رب العالمين، وبه يرشد الخلق إلى طريق الحق وكفى به شرفا أن يكون الوسيلة المثلى إلى تحقيق مقاصد النبوة ووظائفها؛ وهي تلاوة القرآن وتوجيه الناس تربية وتزكية وتعليم القرآن والسنة، وفي هذا يقول الله جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوعَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

تتمة : ص 15

شكر العبد في رمضان

د. إبراهيم بن البو

لقد اختار الله لعباده مواسم ومحطات يستقبلون فيها نسائم رحمته وعزائم مغفرته، لعل المسيء منهم يؤوب إلى رشده ويتوب عن غيه فيصير لربه عبدا ذاكرا شكورا، وليزيد المحسن منهم إحسانا.

إنها مواسم تتجدد ﴿لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾(الفرقان : 62)، ومنها شهر الصيام الذي عظمه الله تعالى وكرمه وشرف صوامه وقوامه والمنفقين والمعتكفين فيه، فخصهم بعظيم الأجر ما ليس في غيره من الشهور، قال ﷺ في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»(متفق عليه).

ومما لا يخفى أن الغاية من تشريع الصيام هي الارتقاء في مدارج الشرف والصعود في معارج التقوى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة :177) ولن يتم ذلك حقا إلا بالارتقاء في معارج أعمالها وأخلاقها وإخلاص النية المصاحبة لهما.

ومن أخلاق التقوى التي يساهم الصيام في ترقيتها وتنميتها وزيادة رصيدها: الصبر والشكر، فهما بمثابة جناحي المؤمن بهما تعرج روحه إلى ربها فتسعد بما آتاها ولا تقنط مما فاتها، وصدق المصطفى ﷺ في قوله: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»(رواه مسلم). فما حقيقة الشكر؟ وكيف يرقيه شهر الصيام حتى يصير سجية للعبد؟

1- حقيقة الشكر:

يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته: "الشكر تصور النعمة وإظهارها، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها. وأصله اللغوي الذي أخذ منه: قولهم: دابة شكور: مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها، وقيل أصله من عين شكرى أي ممتلئة، فالشكر على هذا الأصل الثاني هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه.

والشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، ومنه قوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾(سبأ : 13) أي اعملوا وما تعملونه شكرا لله تعالى"(1).

ولما كانت نعم الله أكثر من أن تحصى وأجل أن تكافأ بقدر ما تستحق، فإن شكر المنعم سبحانه الشكر التام وتوفيته حق ما أنعم به على عباده أمر صعب، قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾(سبأ : 13) إذ كيف يمكن توفية الخالق الرازق حق نعمتي الإيجاد والإمداد معا؟

وعلى رأس الشاكرين لله تعالى الذين عرفوه حق المعرفة فعبدوه وشكروه قدر وسعهم ، الأنبياء والرسل الذين اجتباهم ربهم واصطافهم، فتشربوا الوحي وانصبغوا بصبغته حتى أصبحت أخلاقه وقيمه ظاهرة بادية على سلوكاتهم وأقوالهم، فها هو سيد الخلق ﷺ يقول بملء فيه، تعبيرا عن امتلاء قلبه حبا لربه وشكرا: ﴿أفلا أكون عبدا شكورا؟) لما سئل عن قيامه بين يدي خالقه حتى تفطرت قدماه، فلقد تحقق ﷺ وتخلق بقيمة الشكر قلبا ولسانا وجوارح كما أثنى سبحانه وتعالى على إبراهيم ونوح عليهما السلام بالشكر، فقال في إمام المسلمين: ﴿شاكرا لأنعمه﴾(النحل :121) وقال في أول المرسلين: ﴿إنه كان عبدا شكورا﴾(الإسراء : 3).

2- شكر العبد في رمضان:

رمضان موسم إيماني لصبغ العبد بقيمة الشكر وترسيخها فيه فكرا وسلوكا، تعبيرا وتدبيرا، حتى تصير سجية من سجاياه ومكونا أساسيا من مكونات شخصيته، ولا يتم ذلك إلا باستحضار المعاني التالية:

■ الصوم، شأنه شأن أية عبادة مشروعة، شكر على نعمة الهداية:

أعظم نعم الله على الإنسان بعد نعمة الإيجاد، نعمة الهداية، قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾(الأعلى، 3-1)، والإنسان لو قضى عمره عابدا مسبحا، صواما قواما، ما وفى هذه النعمة حقها. ولحمده سبحانه وشكره عليها نصيب في عبادتنا "ففي الصلاة فريضة ونافلة نقرأ سورة الحمد وهي الفاتحة، التي تتضمن بعد بدئها بحمد الله تعالى والثناء عليه، طلب الاستمرار في الصراط المستقيم: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾(الفاتحة، 5). وبعد ركوعنا نقول : سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وهذا شكر آخر، بل الصلاة كلها جعلت لذكر الله وشكره، كما قال سبحانه: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾(طه، 13). وفي عبادة الحج يهدينا القرآن إلى جعل الأنساك شكرا لله على الهداية، قال تعالى: ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) (الحج، 35). أما الصيام فقد أمرنا فيه بالشكر على الهداية أيضا، فقال تعالى: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾(البقرة : 185)، فالتكبير هنا وفي آية الحج شكر على الهداية"(2).

■ الصوم شكر على نعمة إنزال القرآن:

اقترن شهر رمضان بالقرآن لأنه الشهر الذي أنزل فيه هذا الكتاب العظيم: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾(البقرة : 184). وإنها لنعمة عظيمة خص الله بها هذه الأمة دون سائر الأمم، حيث قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾(المائدة، 4)، فوصف سبحانه إنزال القرآن بأنه نعمة ونسبها إليه تشريفا وتعظيما لقدرها، مما يستوجب شكرا خاصا يناسبها أو يقارب، فشرع لذلك عبادة الصيام لمدة شهر كامل ولأجل إزالة العلائق البشرية الحاجبة عن إبصار الأنوار الإلهية المبثوثة في الآيات والسور القرآنية.

فما كان رمضان وما كان الصيام إلا لأجل القرآن، وهذا ما فهمه السلف الصالح فحفزهم هذا الفهم على الاهتمام بالقرآن تلاوة وتدبرا وحفظا وبلاغا مستحضرين ما وعدهم ربهم من عطايا عظيمة، ومنها ما ذكره ﷺ في حديثه: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»(أخرجه مسلم).

فمن من الله علينا أن أذن لنا رغم بشريتنا وضعفنا وتقصيرنا أن نناجيه بقراءة كتابه وتدبر معانيه، قال ابن الصلاح: " قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنها حريصة على سماعه من الإنس"(3). ومن أجمل صور الشكر المناسب لهذه المنة أن ننور صدورنا بنور كلامه وأن نحيي أنفسنا بغيث وحيه حتى نستحق تكريمه فنكون من أهله وخاصته، قال ﷺ : «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»(رواه ابن ماجة، ح215).

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أيضا أن القرآن يذكر تاليه أناء الليل وأطراف النهار بنعم الله ومننه عليه، فلا تكاد تخلو أية سورة من سوره من ذكر وإبراز لآلائه المستوجبة للشكر التي لا ينكرها إلا جاحد معاند، فالتالي مثلا لقوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين، وهديناه النجدين﴾(البلد : 8-10) يقف على ما وقف عليه مجاهد، وهو أن"هذه نعمة من نعم الله الظاهرة، يقررك بها كيما تشكر"(4). ولو أردنا أن نحصي كل النعم المذكورة في الآيات القرآنية لعجزنا، فلله الحمد والمنة على ما أسبغ علينا من نعمه الظاهرة والباطنة.

■ شكر الله تعالى على المنح والعطايا التي خص بها عباده في شهر الصيام:

خص الله عباده المطيعين في هذا الشهر الكريم بمنح كثيرة تفضلا منه سبحانه وتكرما، بينها وجلى قدرها النبي ﷺ في جوامع كلمه، ومنها:

● **العتق من النيران ودخول الجنان:**لقوله ﷺ : «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال»(رواه أحمد)، «من صام يوما في سبيل الله عز وجل زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفا»(متفق عليه)، «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»(متفق عليه)، «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجان وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»(صححه الحاكم).

● **مغفرة ما تقدم من ذنوب العبد:** لقوله ﷺ : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»(رواه مسلم)، «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(متفق عليه).

● **إجابة الدعاء:** لقوله ﷺ : «إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد».

● **بركات ليلة القدر:** فمن بركاتها أن الله تعالى جعل العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر: ﴿ليلة القدر خير من الف شهر﴾، وأن الملائكة تعمر الأرض يتقدمهم جبريل عليه السلام، يؤمنون على دعاء الناس ويستغفرون لهم ويسلمون على أنفسهم وعلى المؤمنين: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾، ومن بركتها أيضا أنها ليلة الحكم بشقيه، الحكم الشرعي المتمثل في أحكام القرآن، والحكم القدري: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم امرا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾(الدخان، 3- 4)، يضاف إلى ذلك أن من أحياها بإخلاص غفر له ما تقدم من ذنبه: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(متفق عليه).

فما أعظمها من منح وما أجلها من بركات ، ولا شكر للمنعم بها إلا بامتثال ما شرع من صيام وقيام مع إيمان العبد واحتسابه.

3- درجات الشكر:

يرى أهل العلم أن الشكر على درجتين: شكر واجب يؤدى بأداء الواجبات وترك المحرمات ، وكل نقص في ذلك يعد نقصانا في الشكر يقدر بقدره، ولهذا قال بعض السلف: "الشكر ترك المعاصي" وقال بعضهم: "الشكر ألا يستعان بشيء من النعم على معصيته"(5). وشكر مستحب يقتضي بعد أداء الفرائض وترك المحرمات أداء النوافل من الطاعات، وهي درجة الأولياء المقربين.

وشهر الصيام فترة تدريبية للترقي من درجة الشكر الواجب إلى الشكر المستحب، إذ يغرس في العبد حب فعل الطاعات من قيام وصدقة وذكر وتلاوة ودعاء واعتكاف...حتى يتخلق بها فتصير من خصاله التي يسعد بفعلها ويصاب بالوحشة والضنك بتركها والغفلة عنها.

فإذا صام العبد شهره إيمانا واحتسابا تحقق وتخلق بمنزلة الشكر فعلا، واستلذ بثمراتها وخيراتها التي أجملها الحق سبحانه في قوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾(إبراهيم، 9).

شهر الصيام فترة تدريبية للترقي من درجة الشكر الواجب إلى الشكر المستحب، إذ يغرس في العبد حب فعل الطاعات من قيام وصدقة وذكر وتلاوة ودعاء واعتكاف...حتى يتخلق بها فتصير من خصاله التي يسعد بفعلها ويصاب بالوحشة والضنك بتركها والغفلة عنها

1- المفردات/ مادة شكر
2- روح الصيام ومعانيه،ص101.
3- الإتقان في علوم القرآن، ص 53.
4- الدر المنثور، 8/521.

ملف خاص برمضان

منْ صُور الإِنْفَاق في رمضان

د. عمر أجة

رسو الله ﷺ أجود ما يكون في رمضان

لا شك أن شهر رمضان هو شهر الجود والكرم، شهر البر والغفران، شهرٌ يتسارعُ الناس فيه إلَى فعل الخيرات والإنفاق منَ الطيبات، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَجْوَدَ النَّاس، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ منْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّه ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ منَ الرِّيحِ المُرْسَلَة»(متفق عليه).

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: (أجود الناس) أي: أكثر الناس جوداً، والجود: الكرم وهو من الصفات المحمودة، وقوله: (أجود بالخير من الريح المرسلة) أي: المطلقة، يعني في الإسراع بالجود أسرع من الريح، وعبَّر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه. (انظر فتح الباري ص:140).

وذكر الزين بن المنير وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير، وبين أجودية الريح المرسلة: أن المراد بالريح ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سبباً لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي: فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة. (انظر فتح الباري ص:141).

وقال بعضهم: فضل جوده على جود الناس، ثم فضل جوده في رمضان على جوده في غيره، ثم فضل جوده في ليالي رمضان، وعند لقاء جبريل؛ على جوده في سائر أوقات رمضان، ثم شبه بالريح المرسلة في التعميم والسرعة. وقال ابن الملك معللاً: لأن الوقت إذا كان أشرف يكون الجود فيه أفضل. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 444/6).

يقول ابن عمر رضي الله عنه: (ما رأيت أجود ولا أمجد من رسول الله ﷺ).

وقال الشافعيُّ رحمه الله تعالى: (أحبُّ للرجل الزيادة بالجود في رمضان؛ اقتداءً برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثيرٍ منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم). (الحاوي في فقه الشافعي 479/3).

إن شهر رمضان موسم المتصدقين، وفرصة سانحة للباذلين والمعطين، وإن الصيام يدعوك إلى إطعام الجائع، وإعطاء المسكين، وإتحاف الفقير. الله عز وجل أعطاك فابذل من عطيته فالمال عارية والعمر رحال. والمال كالماء إن تحبس سواقيه يأسن وإن يجر منه يعذب منه سلسال.

رمضان: فضائل وفوائد

يقول ابن رجب الحنبلي في لطائف المعارف: وفي تضاعف جوده ﷺ في رمضان بخصوصه فوائدُ كثيرةٌ منها:

● شرف الزمان ومضاعفةُ أجر العمل فيه؛ وفي الترمذي عن أنس مرفوعاً: «أفضلُ الصدقة صدقةُ رمضانَ»(رواه الترمذي في السنن).

● إعانةُ الصائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجبُ المعينُ لهم مثل أجورهم، كما أن من جَهَّز غازياً فقد غزا، ومن خلفَه في أهله بخير فقد غزا.

● أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غُرفاً يُرى ظهورُها من بطونها، وبطونُها من ظهورِها» فقال أبو موسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن طَيَّبَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأدامَ الصيامَ، وصلَّى بالليلِ والناسُ نيام»(رواه أحمد في مسنده)، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف. وهذه الخصالُ كلُّها تكونُ في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصيام، والقيام، والصدقة، وطيب الكلام، فإن الصائم ينهى فيه عن اللغو والرفث.

● والصلاة والصيام والصدقة: توصلُ صاحبها إلى الله عز وجل، وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبوبكر: أنا، قال: «من تبعَ منكم اليوم جنازة؟» قال أبوبكر: أنا، قال: «من تصدقَ بصدقة؟» قال أبوبكر: أنا، قال: «من عاد منكم مريضاً؟» قال أبوبكر: أنا، قال: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»(رواه مسلم في الصحيح).

● أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغُ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم، والمباعدة عنها، خصوصاً إن ضُمَّ إلى ذلك قيام الليل فقد ثبت عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ...»(رواه الترمذي في السنن). وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: صلُّوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوماً شديداً حرَّهُ لحرِّ يوم النشور، تصدقوا بصدقة السرِّ لهول يوم عسير.

● أن الصيام لا بدّ أن يقع فيه خللٌ أو نقصٌ، وتكفيرُ الصيام للذنوب مشروطٌ بالتحفظ مما ينبغي أن يُتحفَّظَ منه، فالصدقةُ تجبر ما كان فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر رمضان زكاةُ الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرفث. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص:232).

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا من طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الارْضِ﴾(البقرة : 267). ويقول أيضا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(التغابن : 16). ويقول النبي ﷺ في الحديث القدسي: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»(متفق عليه).

من صور الإنفاق في رمضان

للإنفاقِ صورٌ عديدةٌ، ومِنْ هذهِ الصُّورِ:

● **إطعامُ الطعامِ وإفطارُ الصائمينَ**، ففيه تأليفٌ للقلوب وعطْفٌ على المحتاجينَ ومواساتُهُمْ، وكتابة الأجرِ العظيمِ والثوابِ العميمِ منَ الله تعالَى، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً»(الحديث أخرجه الترمذي في السنن). فمَن استطاعَ منكُمْ أنْ يفطرَ صائمًا فليفعلْ فقدْ أمرَ اللهُ تعالَى بإطعامِ المحتاجِ، وقدْ قالَ سبحانَهُ في حديثه القدسيِّ: «يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»(أخرجه مسلم في الصحيح).

● **كسوةُ الفقراءِ والمحتاجينَ وشراءُ كسوةِ العيدِ لَهُمْ**، ففيه إدخالُ السرورِ عليهِمْ، وإغناؤُهُمْ عنِ السؤالِ في يومِ العيدِ، يومُ الفرحِ والسرورِ، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّة) أخرجه أبو داود في السنن. وقدْ بشَّرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مَنْ كسا أخاهُ بأنَّهُ يظلُّ في حفظِ الله تعالَى ورعايته فقالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً إِلاَّ كَانَ فِي حِفْظِ اللَّهِ مَا دَامَ مِنْهُ عَلَيْهِ خِرْقَةٌ»(أخرجه الترمذي في السنن).

● **كفالةُ اليتيمِ**، فاليتمُ حالةٌ اجتماعيةٌ قدْ تحدثُ في أيِّ بيت، وهذَا حبيبُ الله ورسولُهُ سيدُنَا محمدٌ ﷺ وُلِدَ يتيمًا وعاشَ يتيمًا، فهيَّأَ اللهُ تعالَى لهُ مَنْ يقومُ بكفالته وخدمته، فلمَّا بعثَهُ اللهُ نبيًّا ورسولاً للعالمينَ ذكَّرَهُ بيُتْمه وأمرَهُ بالإحسانِ إلَى اليتيم، فكانَ ﷺ رحيمًا بالأيتامِ عطوفًا عليهِمْ مُرغِّبًا أمتَهُ في الإحسانِ إليهِمْ، ووعدَ مَنْ أحسنَ إليهِمْ برفقته في الجنة حيثُ قالَ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا. وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(أخرجه البخاري في الصحيح).

والإسلامُ برعايته وكفالته للأيتامِ إنَّمَا ينظرُ نظرةً عميقَةً إلَى المستقبل، فربَّمَا بارك اللهُ تعالَى في هذَا اليتيمِ فكانَ سببًا في نَهضة المجتمعِ وريادته وتحقيقِ العزَّة والكرامة لهُ.

ولقَدْ أوصَى الإسلامُ باليتامَى وأولاهُمْ اهتمامًا كبيرًا، وأحاطَهُمْ برعايته، وحذَّرَ منْ ظُلْمهِمْ، وسنَّ لَهُمْ منَ التشريعات مَا يصونُ كرامتَهُمْ، ويحفظُ عليهِمْ أموالَهُمْ، ويؤمِّنُ مستقبلَهُمْ، فقدْ جاءَتْ نصوصٌ كثيرةٌ في ذلكَ، قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا به شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينِ﴾(النساء : 36). وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ اصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾(البقرة : 220).

● **السعْيُ علَى الأرامل وعلاجُ المرضَى والمحتاجينَ**، والتصدُّقُ علَى الفقراء والمساكين، ونشْرُ كتب العلم ومساعدةُ طلابِه ، وجميعُ أبوابِ البرِّ والخير.

خـتـامـاً:

تذكر أيها الصائم أن رمضان يدعوك للبذل والعطاء، ورحمة الفقراء والمساكين، وهي دعوة في ذات الوقت لنفسك لتقرض ربك في الدنيا فيكرم قرضك يوم تلقاه: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾(التغابن : 17). وتذكر أن الأموال والكنوز والقصور مآلها إلى الزوال والضياع، وليكن حداءك قول رسولك ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»(رواه مسلم في الصحيح).

هذا وقد حث الإسلام الناس على العمل، ومدح العاملين الذين يسعون لكسب الرزق، ونهى عن السؤال، واعتبر التسول من الظواهر السيئة التي تسيء إلى الفرد والمجتمع. لذلك لا يمكن لأي أحد من المتسولين أن يستغل عطف المواطنين والمقيمين على العمل الخيري، وحرصهم الشديد على فعل الخير في شهر رمضان المبارك.

إن شهر رمضان موسم المتصدقين،
وفرصة سانحة للباذلين والمعطين، وإن الصيام يدعوك إلى إطعام الجائع، وإعطاء المسكين،
وإتحاف الفقير. الله عز وجل أعطاك فابذل من عطيته
فالمال عارية والعمر رحال. والمال كالماء إن تحبس سواقيه يأسن وإن يجر منه يعذب منه سلسال

أين نحن من أخلاق الصيام؟

د. عبد اللطيف احميد الوغلاني

سؤال يجب على كل مسلم عاقل يعي دوره ورسالته جيدا في هذه الحياة أن يتوجه به إلى نفسه خلال لحظات العمر كله وليس عندما يقترب شهر الصيام فقط، لأن الصيام في حقيقته وفي بعده التربوي ما فرض كموسم سنوي يأتي ثم يرحل، وما فرض لامتحان قدرات البشر وصبرهم على الجوع والعطش، وإنما فرض الصوم أساسا قربة إلى الله تعالى واتقاء لمحارم الله عز وجل، وكذا لتهذيب أخلاق المسلم وتطهير قلبه وتزكية نفسه وتقوية إرادته، وشحذ همته، وإعداده للمستقبل ليسير على هدى الله تعالى بخطى حثيثة تحققا وتخلقا، علما وعملا، تقربا وعبادة، يجد أثرها الإيجابي على كيانه كله : قلبه وجوارحه، مظهره ومخبره. و ترويض نفسه على أعمال الخير والبر وإعداده في حاضره ومستقبله لكل عمل طيب ليصير قدوة لغيره من الناس ويمكن الله له في الأرض. ولو أن المسلم فقه المغزى الحقيقي والمقصد الأسمى من فريضة الصيام لأدرك أن لشهر رمضان طعما خاصا وحديثا يجلي القلوب ومحبة خاصة، وشعورا غريبا لا يشعر به إلا المحبون الراغبون فيما عند الله من ثواب عظيم خاص بالصيام، وفي الفوز بخيرات هذا الشهر العظيم، ولا يتذوق طعم ذلك إلا المتطلعون للارتقاء بذواتهم وأنفسهم تربية وسلوكا وأخلاقا والمتشوقون للنجاة بمغفرة الله ورحمته والفوز برضوان الله عز وجل. وما أعظم الأجر والثواب الذي يناله من الله تعالى من يسعى لصيام رمضان إيمانا واحتسابا لله عز و جل، ومن يسعى أيضا لتحقيق مقاصد الصيام وغاياته المتجلية في تهذيب النفوس وتزكيتها وتقويمها وترشيدها، ومن يسعى أيضا للبعد عن أسباب ضياع فضل الصيام وضياع مقاصده وأهدافه التربوية والسلوكية والأخلاقية. فأين نحن جميعا من أخلاق الصيام؟ وأين نحن من الاقتداء والتأسي بسيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ خير من صلى وصام وعبد الله تعالى حق عبادته؟.

الأخلاق الواجبة في حق الصائم

إن للصيام المقبول عند الله تعالى أخلاقا وصفات ومحامد وشروطا، من اتصف بها كان من الصائمين حقا، ومن ضيعها وذلك بعدم الاتصاف بها وعدم تجسيدها في نفسه وعلى أرض الواقع من خلال تعامله بها مع خلق الله تعالى جملة وتفصيلا فقد أضاع الصيام ونال من الله الضياع والخسران.

● التخلق بخلق التقوى كما قال ربنا عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون...﴾ فالتقوى خلق جامع يكتنز في كنهه أخلاقا كريمة عديدة. ومعنى التقوى أن يجعل المسلم بينه وبين محارم الله تعالى وقاية وحاجزا يمنعه من الوقوع فيها في سائر الأحوال عموما وأثناء الصيام خصوصا. فالتقوى ثمرة من ثمرات الصيام الحقيقي الصحيح، وإذا لم ينتج الصيام التقوى كان مجرد صيام على الجوع والعطش، وما أتعس ساعتها من كان صيامه مجردا من التقوى! وما أشقى من كان على تلك الشاكلة!.

● ومن أخلاق الصيام الخلق مع الله تعالى وجعل الصيام قربة لله تعالى وحده لا شريك له، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (والرفث : الكلام الفاحش) ولا يصخب (والصخب : اللغط وكثرة الكلام غير المفيد) فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف (وهو تغير ريح الفم) فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه»(متفق عليه. وهذا لفظ رواية البخاري). ويتجلى الخلق مع الله تعالى في الصيام في أن ينوي العبد المسلم الصائم في قرارة نفسه أن صيامه وقيامه هو قربة لله تعالى خالصة له وحده، وأنه ما ترك شهوة بطنه وفرجه واتقاء محارم الله تعالى إلا طلبا لمرضاته عز وجل واستجابة لأمره وانتهاء بنهيه واحتسابا للأجر منه سبحانه وتعالى، ولا يهمه أحد من الناس علم بصيامه أم لم يعلم، فيكون صومه لله وخوفه من الله ورجاؤه في الله، فتتحقق له المعاني العظيمة والثواب العظيم الوارد في الحديث القدسي السابق : «إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»، كما تتحقق له غايته من الصيام وهي جعل صيامه عبادة خفية بينه وبين ربه عز وجل لا يعرف حقيقة سره ونجواه ولا يستطيع أحد أن يطلع عليه في خلواته وفلواته والتي بإمكانه أن يأكل فيها ويشرب إلا الله تعالى، ولكنه ما دام لم يفعل كان حقا على الله تعالى أن يجزيه جزاء لا يعلم مقداره إلا هو سبحانه القائل :«إلا الصيام فإنه لي وأن أجزي به».

ومن أخلاق الصيام معاملة الناس بالحسنى والصبر على أذاهم إذا صدر منهم شيء يخالف شرع الله تعالى، فيعفو الصائم ويصفح الصفح الجميل، خاصة وقد رأينا في الحديث القدسي السابق أن " الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم". ومعنى الصوم جنة: أي ستار ووقاية تقي المسلم ما حرم الله عليه، كي يكون صيامه مضبوطا بضوابط الشرع ومتخلقا بأخلاقه وآدابه ومكارمه. وهو ضابط عظيم بإمكاننا إذا أخذنا به وتخلقنا به استطعنا بتوفيق الله تعالى أن نضبط علاقتنا الزوجية، وعلاقتنا الجوارية، والمهنية والحرفية والإدارية والاجتماعية وكل أنواع العلاقات. لأنه في رمضان كثيرا ما يقع الشقاق والخلاف والنزاع والخصام بين أفراد الأسرة والمجتمع نتيجة الفهم السيء للصيام وهو أنه صيام على الجوع والعطش فحسب وهو فهم بعيد كل البعد عن مقصد الشريعة وغايتها من فريضة الصيام، لذلك فكلما كثر الجوع أو العطش أو القلق كلما حدث ما حدث من معاصي ومنكرات وخاصة إذا كان الإنسان مبتلى بشرب دخان أو خمر أو حشيش أو كان مريضا بالأعصاب ومرض السكر وغيرها من الآفات والابتلاءات فيرفث ويصخب. والصيام مما شرع له هو معالجة كل هذه الآفات والعاهات الخلقية (بضم الخاء) برمتها، وليس مجرد الإمتناع عنها في النهار والإفطار عليها مباشرة بعد الآذان. وإن من تكون حاله كهذه الحال كان كمن ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش. والرفث والصخب خلقان ذميمان قبيحان يفسدان الصيام أيما لإفساد، والمسلم ليس من أخلاقه السب واللعن والكلام الفاحش كما قال المصطفى محمد ﷺ : «ليس المؤمن بالسباب ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذيء». فيفهم منه أن الصيام طهرة للسان يعوده على الخير فيهذب أقواله كي لا ينطق إلا بما هو خير في أمر دينه ودنياه. وهو تقوية للإرادة وضبط للنفس فلا تصخب ولتتحلى بالأخلاق الكريمة، فيحملها الصوم على الحلم والصفح والعفو والإعراض عن الجاهلين، فيكتسب المسلم من صيامه هذه الأخلاق الجمة والصفات العظيمة.

إن الصيام لا يؤتي أكله ولا ينتج ثماره ولا يحقق مقاصده في حياتنا وفي سلوكنا وأخلاقنا وفي علاقاتنا بعضنا مع بعض إلا إذا ترجمناه إلى واقع عملي وإلى خلق حي وإلى عبادة حقة لها عينان ولسانا وشفتان ورجلان ويدان وعقل وقلب وكيان حي يمشي على الأرض بأدب وخلق رفيع، وإلا فقد روحه وأصبح جسدا بلا روح

● ومن أخلاق الصيام الإعراض عن سماع اللغو لقول الله تعالى : ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾(القصص:55). فالكثير من الناس في رمضان يبيتون مع السهرات أمام الفضائيات أو في المهرجانات أو غيرها بين يدي المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات فيصبح ليلهم نهارا ونهارهم ليلا وكأن ذلك لا يتعارض مع شرع الله تعالى في سائر الأيام وخاصة في شهر الصيام والقيام.

● ومن أخلاق الصيام كظم الغيظ والعفو عن الناس وخاصة عند المقدرة كما قال ربنا عز وجل في كتابه الكريم : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾(آل عمران : 134). إن للصوم الحقيقي أثرا إيجابيا يجب أن نسعى في السيطرة به على حواسنا سمعنا وبصرنا وتفكيرنا وكل جوارحنا حتى نبلغ به منزلة ودرجة الإحسان فنفوز بمحبة الله تعالى وكفايته وولايته، ونجسد بذلك مغزى قوله تعالى : ﴿والله يحب المحسنين﴾ وكذا المراد من الحديث النبوي الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ حيث يقول : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن المحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء»(أخرجه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف وغيرهما). فإذا وصل المسلم بصيامه هذه المنزلة فيشمل صومه سمعه وبصره ولسانه وفرجه، فصم أذنه عن كل قول بذيء، أو عن نميمة يلقيها نمام يريد بها الإفساد والتفرقة بين الأصحاب والخلان، أو عن غيبة يريد بها مغتاب هتك عرض مسلم أو مسلمة بغير حق، أو عن بهتان وعدوان يقوله البعض عن البعض بغير حق، وعصم المسلم بصره فلا ينظر إلى ما حرم الله عليه النظر إليه كالتطلع إلى النساء الأجنبيات وإطلاق بصره حيث شاء دون رقيب من الله تعالى أو حسيب، وحفظ المسلم لسانه فلا يقول فحشا، ولا زورا ولا إثما أو باطلا، ولا يذكر الناس إلا بخير، فلا يبهتهم ولا يظلمهم ولا يقع في أعراضهم بغير حق مصداقا لقول النبي محمد ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(أخرجه البخاري في الأدب عن أبي هريرة رضي الله عنه). فإذا وصل الصائم إلى هذه المنزلة من الخلق الكريم فقد صام حقا وجسد أخلاق الصيام وفاز إن شاء الله بأجره كاملا غير منقوص. وإن الصيام الكامل الشامل لكيان الإنسان كله لهو الذي يصل بصاحبه إلى درجة التقوى، وهي المنزلة التي لا يصل الإنسان إليها إلا بامتثال مكارم الأخلاق وأجل الصفات والبعد عن مساوئها.

من ثمرات الصيام وفوائده

إن الصيام لا يؤتي أكله ولا ينتج ثماره ولا يحقق مقاصده في حياتنا وفي سلوكنا وأخلاقنا وفي علاقاتنا بعضنا مع بعض إلا إذا ترجمناه إلى واقع عملي وإلى خلق حي وإلى عبادة حقة لها عينان ولسانا وشفتان ورجلان ويدان وعقل وقلب وكيان حي يمشي على الأرض بأدب وخلق رفيع، وإلا فقد روحه وأصبح جسدا بلا روح، وصورة بلا حقيقة، ومظهرا بلا مخبر. فأين أخلاق الصيام والقيام؟ أين أمانة الصائم؟ أين كرمه وجوده؟ أين ورعه وتركه للشبهات؟ أين عطفه ورحمته وشفقته؟ أين حياؤه ومراقبته؟ أين صبره وتوكله؟ أين بره وإحسانه وتقواه؟

ما فائدة الصيام إذا لم ينقلنا من سيء إلى حسن ومن حسن إلى أحسن؟ وما فائدة الصيام إذا لم يردع صاحبه عن غيبة أو نميمة أو حسد أو بغضاء؟ ما فائدة الصيام إذا لم يطهر صاحبه من شرب الخمر والحشيش وشرب الدخان والتبغ وغيرها من البلايا الخطيرة؟ ما فائدة الصيام إذا كان لا يزكي الأنفس بفضائل الأعمال وأفضل الخصال، ويطهرها من الشح والبخل وسائر الدناءات؟ بل ما فائدة الصيام إذا لم تصبح حالنا الإيمانية والخلقية في يوم رمضان الثاني والثالث أفضل من اليوم الأول، وفي الثلث الثاني من رمضان أفضل من الثلث الأول وفي الثلث الأخير منه أفضل الثلثين الأوليين معا؟

إنه لا بد أن نغير جميعا نظرتنا إلى الصيام كعادة إلى كونه عبادة وقربة نتقرب بها إلى الله تعالى، ولا بد أن تتغير هذه النظرة في ضوء مفاهيم الإسلام، وما خص به في شريعة الله من فضائل وآداب وتعاليم. لا بد أن نتعامل مع الصيام بصفته عبادة من أعظم العبادات وركنا عظيما من أركان الإسلام، لا أنه عادة توارثتها الأجيال جيلا بعد جيل. فلنجعل الصيام في شهر رمضان شهر الخير والإحسان مدرسة لتربية أفراد الأمة ذكورا وإناثا بكل فئاتهم على مكارم الأخلاق، ليترقوا في مقامات العبودية ودرجات الحب الإلهي، وصولا إلى رضا الله عز وجل وقيادة للبشرية بالخلق الرباني الرفيع والتمكين في الأرض. أسأل الله تعالى أن يبلغنا جميعا مقام الصديقين المخلصين والشهداء. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ملف خاص برمضان

رمضان شهر القرآن

د. محمد بن موسى الشريف

ها قد أقبل رمضان ببركاته وأنواره، وخيراته وجلاله، وهو خير شهور السنة وأعظمها، وسر عظمته نزول القرآن فيه، قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾(البقرة : 184)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(القدر : 1)، وقال جل من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾(الدخان : 3)، فهذا الشهر شُرف وعظم بإنزال القرآن فيه، هذا الكتاب العظيم الذي أخرج العرب الأوائل من الظلمات إلى النور، ومن العتو والنفور إلى الطاعة والإقبال، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن التعلق بسفساف الأمور ودناياها إلى مصاولة جلائلها وعظائمها، ولم يكن هذا التغيير قاصراً على العرب فقط، بل إن كل أمة استضاءت بنور القرآن وهديه كان لها نصيب جليل من التغيير بقدر ما أقبلت على هذا الكتاب العظيم.

هدي النبي ﷺ وصحابته مع القرآن

وقد كان هدي رسول الله ﷺ مع القرآن في رمضان أن يعارض به جبريل في «ورد سنوي» جليل، فكان ﷺ يقرأ القرآن على جبريل عليه السلام، ثم يقرؤه جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فيما يعرف في علوم القرآن بـ«العرضة»، وسنّ النبي ﷺ لأصحابه قيام الليل جماعة بالقرآن، وقد أمّ بهم بضع ليالٍ ﷺ. ولما كان زمان خلافة الفاروق رضي الله عنه جمع الصحابة على عشرين ركعة يؤمهم فيها أُبيّ ابن كعب وتميم الداري رضى الله عنهما فيما عرف بصلاة التراويح، وقد كان السلف يقبلون على القرآن في رمضان ما لا يقبلون على غيره. أحوال السلف مع القرآن وكان الإمام مالك رحمه الله تعالى إذا جاء رمضان أقبل على القرآن وترك ما سواه، وقد ثبت من وجوه عن الإمام الشافعي أنه ختم القرآن في رمضان ستين ختمة، وقد كان الإمام الكبير ابن عساكر رحمه الله تعالى قد اعتكف طوال رمضان ليصل إلى ما وصل إليه الإمام الشافعي فلم يقدر إلا على تسع وخمسين ختمة، وهذا الإمام ابن الحداد المالكي الإسكندري يقرأ القرآن في رمضان أربعين مرة. والأخبار عن سلفنا في الإقبال على القرآن والإكثار من قراءته كثيرة جداً، وحسبي أن أختمها بما قالته صفية زوج عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لما سئلت عن حال ابن عمر في رمضان فقالت: لا تقدرون عليه، إنما هو القرآن ينشره ويقرأ فيه. بركة هذا الشهر العظيم والناظر لحال الناس في هذه الأزمان في رمضان يرى عجباً، فهذه المساجد تمتلئ بالمصلين الذين يحرصون على البقاء فيها مدة طويلة بين الصلوات وقبلها وبعدها لقراءة القرآن، وأكثر هؤلاء قلما يُرون في المساجد في غير رمضان!! وصلاة التراويح تجمع الناس على وجه عجيب، وربما امتلأ بهم المسجد، وكثير من هؤلاء لا يؤمّون المساجد إلا لماماً في غير رمضان!! وهذا من بركة هذا الشهر العظيم. وهناك مسألة مهمة وهي الإكثار من الختم في رمضان والتنافس فيه، فإن كثيراً من الناس يختم مرة ومرتين وثلاثاً، وربما ختم بعض الناس أكثر من ذلك، فهل هذا هو الأفضل والأحسن؟ عنوان القرآن إني أرى – والله أعلم – أن يقتصر المرء على ختمة واحدة في رمضان، يتلوها بتدبر وتمهل ومُكث، وينظر في المعاني والتفسير، وينظر في شأنه مع أوامر القرآن ونواهيه، فذلك خير له من ختمات متتابعات، لايكاد يلوي على شيء من التدبر والتفكّر والتفهم، وقد سئل أحد السلف عن عنوان القرآن فقيل له: إن لكل كتاب عنواناً فما عنوان القرآن؟ فقال وأحسن رحمه الله: عنوان القرآن هو قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(ص : 29)، فالتدبر هو عنوان القرآن الأول والأعظم، وبه ساد الأوائل وفازوا، وبه وضعت الأسس العظيمة للحضارة الإسلامية الجليلة. فما الفائدة التي تعود على المرابي وهو يقرأ قوله تعالى مرة ومرتين وثلاثاً في رمضان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾(البقرة : 278- 279)، يقرؤها ويسمعها مراراً، ثم هو لا يرعوي ولا يكف، وما الفائدة التي تعود على شارب الخمر وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة : 90) ثم لا ينتهي ولا يرعوي، والشيء نفسه يقال عن الزاني والعاق... إلخ. **والأمة اليوم بحاجة إلى إحسان قراءة القرآن في رمضان، وإلى جودة النظر في آياته، وإلى الانتقال من النظر إلى العمل، ومن القراءة باللسان إلى العمل بالأركان**، وقد أحسنت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها جواباً حين سألها السائل عن خلق النبي ﷺ فقالت له: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، فقالت: كان خلقه القرآن، ﷺ، فأين نحن من هذا؟ **إن القرآن يحثنا على مكارم الأخلاق وكثير منا ساءت أخلاقه، والقرآن يحثنا على النظر في الكون، والأمة الإسلامية اليوم تعاني من التخلف عن الركب ومن التبعية لغيرها في كل شؤونها تقريباً، وإن القرآن الكريم ينهى المسلمين عن الوقوع في الفواحش وأكثر عواصم بلاد الإسلام اليوم تعج بالموبقات والفواحش من خمر وزنا وربا، وإن القرآن الكريم يأمرنا بتحقيق عقيدة الولاء والبراء وكثير من المسلمين حكاماً ومحكومين ضعفت هذه العقيدة في نفوسهم حتى والوا الكفار وعادوا الصالحين والمجاهدين!** وإن القرآن العظيم يأمرنا بوضوح أن نعد العدة﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(الأنفال:60)، وأننا لن نتغير أحوالنا إلى الأحسن والأفضل حتى نغير ما بنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرعد : 12)، ثم نحن هؤلاء لا نتغير إلا قليلاً، ولا نعدّ لأعدائنا ما ينبغي من عُدة، ولا نقيم مجتمعنا على ما يجب أن نقيمه عليه من الدعائم القويمة. إن الناظر للناس اليوم في إقبالهم على صلاة التراويح وفي إقبالهم على قراءة القرآن في المساجد قد لا يرى فرقاً كبيراً في ظاهر أمرهم وبين حالهم وحال سلفنا رضي الله عنهم، لكن الفرق الهائل هو التدبر والتفكر والتفهم، ثم العمل بهذا التدبر والتفكر والتفهم، والوقوف التام عند حدود القرآن، وتعظيم شأنه إلى الغاية من التعظيم، هذا هو الفرق الذي يلوح لي، وإلا فماذا نقول عن هذه الملايين الكثيرة التي تفزع إلى المساجد صلاة وقراءة للقرآن، ونرى خشوعاً، ونسمع بكاء، فما هو الشيء الذي ينقص هذه الجموع إذن، إني أراه: التدبر، والتفكّر، والتفهم، والعمل بعد ذلك، والوقوف عند حدود الله تعالى. إلى صفوة الأمة ثم إني لابد لي من :

كلمة للدعاة والعاملين والصالحين الذين هم صفوة الأمة ولباب القوم: إنكم تريدون إصلاح المجتمع ودعوته إلى الخير والرشد والطهارة والعفاف، وهذا أمر جليل عظيم، فاتخذوا من القرآن عوناً وقوة وسنداً، وأقبلوا عليه وانهلوا من معينه، وكونوا أول آخذ بأوامره، وأول منته عن نواهيه، فأنتم الذين ترنو إليكم الأنظار، وترمقكم الأبصار، فالله الله في الذي أُستُؤمنتم عليه واستُحفظتموه، واعلموا أنه لا مخرج لنا جميعاً، ولا كاشف لما نحن فيه إلا العمل بالقرآن العظيم.

وكلمة للحكام : إن الله استرعاكم رعية فماذا صنعتم في رعيتكم؟ إن الملايين التي تحكمونها اليوم ستقف غداً بين يدي الله تعالى، تشكوكم إن لم تحكموهم بالقرآن، ولم تأخذوهم بهديه، فلن ينفعكم الاحتفال بليلة القدر إن أعرضتم عن القرآن سائر أيام السنة.

وكلمة لقادة الجماعات الإسلامية : إن القرآن يأمر بالاجتماع والاعتصام بحبل الله تعالى والبعد عن كل أسباب النزاع والفرقة، وبيّن بوضوح أن هذا هو سبيل النصر ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(الأنفال : 46)، فاتقوا الله تعالى في هذه الأمة، وكونوا أول آخذ بهذا القرآن ومعتصم به فإنه يقيكم من الزلل في التصورات والأعمال والأفكار، ويعصمكم من مؤامرات أعدائكم وتربّص خصومكم. أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن قرأ هذا الكتاب فأحسن العمل، واتقى الخلل، وقصّر من الأمل، واستعدّ للأجل إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

حفظ السمع والبصر.... (تتمة)

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة : 2)، "فطوبى لمن شغل لسانه بوظائف النبوة العظمى، واقتفى أثر الرسول في دعوته خاصة في هذا الشهر المبارك.

سبل حفظ الجوارح : السمع والبصر واللسان

ولكي نحفظ جوارحنا الحفظ المطلوب في شهر رمضان المعظم من الآفات المهلكة ونحصل تقوى الله تعالى فينبغي العناية بالأمور التالية:

● **الحرص كل الحرص على كل ما يصلح القلب** فهو ملك الجوارح كلها وقائد الأعضاء وسائسها، فإن صلح القلب صلحت الجوارح وإن فسد فسدت، كما قال المصطفى ﷺ : «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

● **مجاهدة النفس الأمارة بالسوء بمنعها من الوقوع في معاصي الجوارح في رمضان** مثلما نلزمها تماما بالكف عن الأكل والشرب أثناء الصيام.

● **شغل النفس والجوارح بسبل الخير في شهر رمضان وغيره،** وحفظ الأوقات بإعمارها بما يفيد العبد في دينه ودنياه.

● **الامتثال لما ورد في الكتاب العزيز والسنةالمطهرة من أوامر ونواهي وتوجيهات وتشريعات تخص حفظ السمع والبصر واللسان،** وكذا بإدراك مقاصد الصيام وتقدير حرمة شهر رمضان، فذاك ولا شك علاج ناجع يحفظ به المؤمن به ظاهره وباطنه عما لايرضي الله تعالى.

● **مصاحبة الأخيار ومجالسة رفقاء الخير والصلاح** الذين يذكرونك بالله تعالى، فإن أحسنت أعانوك وإن أسأت نصحوك.

● **أن نعلم يقينا أننا مسؤولون يوم القيامة عما نفعله بجوارحنا** ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

● **اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والاستغفار بقلب حاضر** ليوفقنا لحفظ أسماعنا وأبصارنا وألسنتنا وتسخيرجوارحنا فيما يرضيه من قول أوعمل.

خاتمة

وأخيرا وليس آخرا اعلم أن جوارحك إنما هي محض نعمة من الله عليك وهي فوق ذلك أمانة بين يديك ستسأل عنها وتحاسب، وأعضاؤك وجوارحك رعاياك فانظر كيف ترعاها «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فلا تستعن بنعمة الله على معصيته فتلك خيانة للأمانة وكفران للنعمة، واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك يوم القيامة بلسان طلق قال تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾(النور : 24)، فاحفظ جميع بدنك وكل جوارحك من المعاصي حتى تكون من الفائزين ولا تدخل فيمن ورد فيهم قول الله تعالى: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾(الأحقاف : 25).

اللهم وفقنا للصواب، واهدنا للتي هي أقوم في الأقوال والأعمال والأحوال.

ملف خاص برمضان

من أحكام الصيام

فضل الصوم

لرمضان فضائل عظيمة لقول الرسول ﷺ : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مُكَفرات ما بينهُنّ إذا اجتنبت الكبائر»، وقوله : «مَن صام رمضان إيمَاناً واحتساباً غفر لَه ما تقدم من ذنبه»، وقوله : «إذا كان أول ليْلة من شهر رمَضان صُفدت الشَياطين، ومَردة الجن وغُلقت أبْوابُ النار فَلم يفتح منها بابٌ، وفتحت أبْوابُ الجَنة، فَلم يغلقْ منها بابٌ، وينادي مناد : يابَاغيَ الخير أَقبل، ويَابَاغيَ الشرِّ أدبر وَلله عتقاءُ منَ النار، وذلك في كل ليْلةٍ من لياليه».

والصوم من العبادات المشتركة بين البدن والرُّوح فإن الامتناع عن المفطرات ساعات معينةً من الزمن تعويدٌ للجسم على الصَّبر عندما يفقد الطعام والشراب وتذكير للمرْء بنعم الله (سُبحانه وتعالى)، ولإحساس الصائم بمَا يعانيه الفقير.

والصوم كذلك من العبادات الرّوحية، ففي أدائه امتثالٌ لأمر الله تعالى ووفاء لفرض قد فرضه الله على عباده، ومَدرسة يتعلم فيها الصّائم مكارم الأخلاق، ونُبل الصفات، ويكفي أن نشير إلى أثر الصوم في تعويد الأمانة أمانة الصائم للعهد بينه، وبين ربِّه سبحانه وتعالى ثم إن الصوم جُنَّة للشباب أي : وقاية لهم من ارتكاب الفواحش، وقد قال ﷺ : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».

ومن فوائده الكبرى، ومقاصده العظمى رجاء الصائم دخوله مع المتقين.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المقاصد والفوائد عقب أمره بوجوب الصيام بقوله : «لعلكم تتقون».

أحكام الصيام

■ **شروطه :**

شروط وجوب فقط وهي :

1- البلوغ.
2- القدرة.
3- الإقامة أي عدم السفر.

وشروط صحة فقط وهي :

1- الإسلام.
2- الزمن: القابل للصوم فيما ليس له زمن معين، فلا يجوز صيام يوم عيد الفطر والأضحى ويوم المولد النبوي الشريف.

وشروط وجوب وصحة معاً وهي :

1- العقل.
2- الخلو من الحيض والنفاس.
3- دخول الوقت فيما له وقت معين كرمضان.

■ **أركانه** :

النية : وهي العزم على الصّوم لقوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيّات»، والنية يجب أن تكون بالليل، قبل الفجر، لقول رسول الله ﷺ : « من لم يُبيت الصيَام قبْل الفجر فلا صيام له»، والنية قبل ثبوت الشهر باطلة.

وتكفي نية واحدة لصوم رمضان كله، ما لم ينقطع تتابعه. ويستحب التبييت في كل ليلة وإذا انقطع صومه بعُذر كالحيض وجبَ تبييت النية عند استئناف الصوم.

■ **مندوباته :**

1- تعجيل الفطر، بعد تحقق غروب الشمس.
2- تأخير السحور، لقوله ﷺ : «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطرَ وأخروا السحور».
3- كون الفطر على رُطب، فتمر فشيءٍ حلوٍ، فماءٍ، ويستحب أن يكون وتراً.
4- الدعاء عند الإفطار، وكان ﷺ يقول عند الإفطار : «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فاغفرلي ماقدمت، ومأأخرتُ».
5- السحور، وهو : الأكل والشرب في آخر الليل، لقوله ﷺ : «تسحروا فإن في السحور بركة».

ما يباح للصائم

يُباح للصائم :

1- السِّواك بغير رطبٍ ولا بذي رائحة.
2- التبرد بالماء من شدة الحرِّ.
3- السفر لحاجة مباحة وإن كان يعلم أنَّ سَفره سيلجئه إلى الإفطار إذا استوفى شروط المسافر.
4- التداوي بأي شيء حلال لا يصل إلى جوفه منه شيء، ومن ذلك استعمال إبرةٍ إن لم تكن للتغذية.

ما يعفى عنه :

1- بَلْعُ الصَّائم ريقَهُ أي : لعابَه ولو كثر.
2- غلبة القيء والقلس، وهو ماء حَامضٌ تقذفه المعدة عند الإمتلاء إن لم يَرجع منه شيءٌ إلى جَوفه.
3- ابتلاع الذباب غلبةً.
4- غبَار الطريق، والمصَانع ودخان الحطب، وسائر الأبْخرة التي لا يمكن التحرزمنها.
5- الاحتلام، فلا شيء على من احتلم، وهُو صائم، ويجبُ عليه الإغتسال إن أنزل.
6- الأكل، أو الشرب نسياناً إلا أن عليه القضاء في الفرض، وأما في النفل فلا قضاء عليه، على أن يمسك بقية يومه.

مكروهات الصوم :

1- ذوق شيء لهُ طعمٌ كملحٍ، وعسلٍ، وخلٍ، لينظر حالهُ، ولو لصَانعه مخافة أن يسبق لحلقه شيءٌ منها.
2- يكره التطوع بالصَّوم لمن عليه صوم كالمنذور، والقضاء والكفارة.
3- شمُّ الطيب، والتطيُّب.

مفسدات الصوم

ما يفسد الصوم نوعان :

أ- نوع يُوجبُ القضاءَ فقط.
ب- نوع يُوجبُ القضاء والكفارة.

أ- ما يوجبُ القضاء :

1- إذا أفطر الصائم غيرَ قاصدٍ أن ينتهك حرمةَ الشهر، وجبَ عليه القضاء فقط، ومثالُ ذلك : إذا غلبه الماء إلى الحلق في المضمضةِ، أو الاستنشاق.
2- إذا أفطر ناسياً أنه صائمٌ، وعلى المفطر الناسي : أن يُمسك بقيّة النهَارِ ولا قضاء عليه إذا كان متطوعاً بصيامه.
3- مَن أصابتهُ جنَابَةٌ ليلاً، ولَم يغتسل إلا بعْدَ الفجْر، فظنَّ أنَّ صَوْمه لا يُقبلُ، فأفطرَ.
4- ومن أفطر لتأويلٍ قريب، وهُو : مَا اسْتُنِدَ فيه لأمر محققٍ، لاوهْم فيه، ولاَ خيَالَ، فعَليْه القضاءُ فقط مثل : من أفطرَ ناسياً، أو مكرهاً في نهار رمضان، فظَنّ أنه لا يجبُ عليه الإمساكُ بقيَّة يومِه، فتمادى في الإفطار.
5- مَن قدم من سفره قبْل الفجر، فظن أنه يبَاح له الفطر صبيحة ذلك اليَوم، فأفطر.
6- من سَافر أقلَّ من مسَافة القصر، فظن إبَاحة الفطر في سفره هذا، فأفطر.
7- من احتجم نهاراً، فظن إبَاحَة الفطر له، فأفطرَ.

ب- ما يوجب القضاءَ والكفارة :

تجب الكفارة مع القضاء :

1- إذا تعمد الصائم الفطرَ في شهر رمضان، ويتحقق ذلك بالجمَاع، أو بإنزال المنِّي، ولو بإدامة النظر، أو الفكر، أو برفع نيّة الصوم، أو بوصُول مَائع أو جامدٍ إلى المعدة من الفم، بقصد انتهاك حرمة الشهر، من غير تأويل قريب، وليسَ على من أفطر متعمداً في قضاء رمضان كفارة.
2- التأويل البعيد : مَن أفطر لتأويل بعيد، وهو : ما اسْتند فيه لأمر غير محقق، وبناه على الوهم، والخيال فعليه القضاء والكفارة كما سبق، ومثال ذلك :

أ- من اعتادته الحمى في يوم معين، فأفطر قبل مجيئها، ولو جاءته في الموعد المعين.
ب- من اعتادت الحيض في يوم معين في الشهر، فأفطرت فيه قبل مجيء الحيض.
ج- من اغتاب أحداً، فظن أن الغيبة مفطرة، فأفطر.
د- من انفرد برؤية الهلال، ولم تقبل شهادته عند الحاكم، فظن إباحة الفطر له كبقية الناس، فأفطر.
هـ- من أفطر لعزمه على السفر في يوم معين، ولم يسافر.

أصحاب الأعذار

1- **المسافر :** وللمسافر أن يفطر إذا وجدت الشروط الآتية :

أ- أن يكون سفرَ قصْر مسافته واحد وثمانون كيلومتراً فأكثر.
ب- أن يبيتَ نيّة الفطر في السفر قبْلَ الفجْر.
ج- أن يشرع في السفر قبْل طلوع الفجر، بحيث يجاوز البساتين المتصلة بالبلدة التي يسكنها قبل طلوع الفجر.
د- أن يكون السفر مباحاً.

فإن فُقد أحدُ الشروط فأكثر فلا يجوز لهُ الفطر، وَالأفضل للمسَافر المسْتكمل لشروط السفر الصوم، إنْ لمَ تحصل معه مشقة، قال تعالى : «وأن تصُومُوا خَيْرٌ لكم».

2- **المريض :**

أ- إذا خاف بالصوم زيَادة مرض، أو تأخرَ بُرْءٍ، أو حصُول مشقةٍ شديدَةٍ جازَ لَه الفطر.
ب- أما إذا غلبَ على ظنه الهَلاك، أو الضرر الشديد، بسَبب الصوم، كتعطيل حاسّة من حواسه، فيجب عليه الفطر، وفي كلتا الحالتين عليْه القضَاءُ حينَ يستطعه.

3- **الشيخ الكبير:**

إذا بَلغ المسْلم، أو المسْلمة سنا منَ الشيخوخة، لا يقوى معَه على الصوم أفطر، وتصدق عنْ كل يَومٍ يفطره بمُدٍّ من طعامٍ نَدْباً، لقول ابن عباس رضي الله عنهما : «رخص للشيخ الكبير الإفطار، مع اطعامِ مُدٍّ عن كل يوم، ولا قضَاءَ عليه»، وكذلك المَريضُ مَرَضاً مُزمناً، لا يُرجى بُرْؤُهُ.

4- **الحامل والمرضع :**

إذا كانت المسْلمة حاملاً، وخافت على نفسِها، أو على جنينها أفطرت، وعنْد زوال العُذر تقضي ما أفطرته.

وبالنسبة للمرضعة، إذا خافت على نفسها، أو على رضيعها، ولم تَجدْ مَن ترضعه لها، أو لم يقبل غيرها أفطرت، وعليها القضاء، والفدية وُجُوباً.

5- **حالات أخرى يباح فيها الإفطار :**

أ- خوف الهلاك، أو الضرر البالغ من جوع أو عطش شديدين.
ب- الجهاد لإعلاء كلمة الله، لمن خاف الضعف منه، إذا استمر صائماً وعليه القضاء بعد ذلك.
ج- الجنون، أو الإغماء :
1- من حدث له جنون، أو إغماء قبل الفجر، فعليه القضاء، إذا زال عذره.
2- أما إذا حدث الجنون بعد الفجر، فإن استمر جنونه، أو إغماؤه نصف الزمن أي : يوم الصوم فأقل، فلا قضاء عليه، وإن استمر أزيد من النصف فعليه القضاء.

استنهاض الهمم ونهضة الأمم

د. الطيب الوزاني

أثبت التاريخ أن من عوامل نهضة الأمم تربية الأجيال على الثقة القوية في مشروع الأمة، والإيمان الصادق بمقوماتها الفكرية والثقافية، والتنافس في الامتثال لروح الأمة، كما أثبت التاريخ في المقابل أن كل أمة أصيبت بداء الهزيمة النفسية والحضارية والفتور الإيماني لدى أبنائها بقضيتهم وتنافست في المتع والملذات الثانوية إلا وفقدت حظها من التقدم والريادة الأممية، وأصبحت عرضة للتآكل من الداخل، وتسلط الخصوم عليها من الخارج.

وتكفي نظرة في سنن الله في نهضة الأمم القديمة والمعاصرة التي تبوأت مكانها في قيادة العالم، وأقرب مثال على ذلك أمم العالم المعاصر القائدة أو التي بدأت تطل برأسها مزاحمة قادة العالم ومنافسة لهم على الريادة، فهذه الأمم من بين ما ركزت عليه استنهاض همم مواطنيها على التشبث بروحها والتربية على حب معالي الأمور وأنفعها، خاصة التربية على حب العلم والعمل، والتشبع بقيم التحدي والصبر، والتدرب على فنون الإدارة والتخطيط والبرمجة للوصول إلى الهدف، وتضافر جهود جميع مكونات الأمة -سياسيين وأدباء ورجال التربية والتعليم وعلماء الأمة المتخصصين في كل مجال تحتاجه الأمة- في الإيمان بالقضية، والتواصي بها، والتعاهد على التضحية من أجلها.

ولا شيء ينال من غير توفر الهمة العالية والاجتهاد القوي، قال الشاعر:

فقل لمُرَجِّي معالي الأمور
بغير اجتهاد: رجوتَ المحالا

إن الأمم تكون في نهضتها أحوج ما تكون إلى استنفار أبنائها وتقوية هممهم وشحذ عزائمهم، وتربيتهم على المبادرة الحرة وعلى الإيمان القوي بالقضية، وعلى التفاني في التضحية في سبيلها بالغالي والنفيس.

واستنهاض همم الشباب فن تربوي دقيق، ومؤثر قوي في الإصلاح والتغيير يحتاج أولا إما إلى متخصصين في التربية وفن إعداد القادة والأبطال، أو إلى هواة وأصحاب مواهب في هذا المجال يحتاجون إلى الرعاية وإحسان التوجيه والاستثمار.

ومما نحتاجه في استنهاض الهمم :

1- تشجيع الأبناء على التشبث بالقيم الفكرية والفنية والخلقية للأمة الإسلامية، وعلى رأس ذلك حب القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وسيرته، والتنافس في تعلم ذلك كله وتعليمه، والقيام بكل ما يلزم لذلك من واجبات.

2- تقوية إيمانهم بها، وتشجيعهم على اكتساب العلوم والمعارف النافعة، وتنمية مواهبهم وطاقاتهم في الاتجاه الإيجابي.

3- مكافأة المجتهدين والمتفوقين واحتضانهم، ورعايتهم في مؤسسات خاصة، وتوفير ما يلزمهم من معدات ومدرسين أكفاء ومتخصصين في علوم التربية والتوجيه من الغيورين ومتابعتهم حتى النهاية لتوظيفهم واستثمارهم في خدمة البلاد.

4- وصلهم بنماذج من ذوي الهمم العالية من العلماء والمبدعين والمخترعين والقادة والأبطال وخصائصهم النفسية، وظروفهم الاجتماعية، ومنجزاتهم.

5- إجراء مسابقات ومباريات هادفة في جميع التخصصات وبشكل دوري وفي جميع مراحل التعليم.

إن التربية على علو الهمة وقوة العزيمة واستقلال الإرادة هي أساس كل نهضة وقوام كل انبعاث جديد، بل هي الخطوة الأولى في مشروع تكوين جيل من الأقوياء الأمناء، المجدين والمجتهدين والمتنافسين في الخير والنفع، جيل من العاملين الدؤوبين، الذين لا يشتكون من المصاعب ولا يتراجعون في المصائب، الذين يجمعون بين الأمل والعمل، بين الصبر على المكاره والثقة في تحقيق الغايات بروح إيمانية عالية.

إن عالي الهمة وقوي العزيمة لا يقنع بسفاسف الأمور ولا يوثر اللذات العاجلة ولا السافلة، ولا يقنع إلا بما يجلب الشرف له ولأمته، ولا يقبل على عمل بغير تخطيط ولا تدبير مسبق.

إن الأمم الضعيفة ليست في حاجة إلى أموال ولا إلى ثروات أكثر من احتياجها إلى استنهاض همم أبنائها والاشتغال بتنشئتهم على قيم النهوض والتحدي وروح المبادرة، والثقة في قدرات الذات، والوعي بالحاجة إلى التطور والتطوير، والقابلية للصلاح والإصلاح، وحب العلم والعمل، وروح التضامن والتناصر والتناصح والتآزر، والنظرة بتفاؤل إلى الغد والمستقبل.

وإذا ألقينا نظرة على نوع التربية التي دعا إليها القرآن الكريم ومارسها الرسول ﷺ، نجدها تركز على التربية على استنهاض الهمم وتقوية العزائم ويصعب حصرها في هذا المقام الضيق، ولكن يكفي التنبيه إلى المواطن التالية:

يقول الله تعالى في حث المؤمنين على الثقة بأنفسهم وترك ما يقعدهم عن المعالي: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم صادقين﴾.

- ويقول تعالى في الأمر بالصبر -لما في الصبر من قوة اليقين بتحقق النتائج مهما بدت بعيدة المنال- : ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله﴾، ويأمر نبيه بالصبر قائلا: ﴿واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾.

- ويقول جل وعلا آمرا بوجوب الإعداد للعدو مهما كانت قوته: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾.

- ويقول جل وعلا في استنهاض همم المسلمين رغم قلة الزاد والعدد وبُعد إمكان النصر: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾.

وهذا رسول الله ﷺ يستنهض همم المسلمين فيقول:"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير" ثم يبين سبل اكتساب هذه القوة، وهذه الهمة العالية فيقول: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(رواه مسلم).

كما أن الرسول ﷺ رغم أنه كان محفوظا من ربه، ومعصوما، وموعودا بالنصر لم يقصر في اتخاذ الأسباب وتربية الصحابة الكرام على مباشرة الأسباب والثقة في الله وحسن التوكل عليه والصبر وتحمل المكاره والإيمان بالمستقبل.

كما أن الرسول عمل منذ بداية الدعوة على تكوين جيل من الصحابة الأقوياء في الإيمان، وفي البذل والتضحية، وفي الجد والاجتهاد، لا يعرف اليأس والخور إلى نفوسهم طريقا، ولا تجد الهزيمة إلى قلوبهم مدخلا، وكان ﷺ يتدخل في كل حين لمعاجة مشكلة اليأس والفتور فيقف ﷺ مستنهضا الهمم وباعثا للأمل في النفوس ومذكرا بوعد الله للأمة، فتتغير بوصلة النصر جهة المسلمين.

فأين أمتنا من هذه التربية القرآنية، وأين هي من هذه التربية النبوية؟؟

فهل ما ينشره الإعلام من أفلام خليعة وصور وبرامج وضيعة، وأفكار نشاز يساعد في اكتساب قيم الاعتزاز بالذات وعلو الهمة ومساعدة البلاد في الرقي إلى المراتب العليا في الخير؟

وهل ما تسمح به الجهات الرسمية من مهراجانات الغناء والعري والسكر والعربدة، سيمنح هذه البلاد رجالا ذوي همم عالية وطموحات تخدم البلاد والعباد؟

وهل ما يشيع في أبواب المدارس والمؤسسات التعليمية من مظاهر الانحراف والانحلال الخلقي والهزيمة النفسية وجد له من يحسن تدبير أمره؟

وهل البلاد في حاجة إلى الزيادة في عدد المقاهي والحانات والخمارات والملاهي الليلية أكثر من حاجتها إلى إنشاء مراكز التأهيل الاجتماعي ورعاية الموهوبين، والتوجيه والإرشاد ودور القرآن ومؤسسات التعليم الموازي؟

وهل ما ينتشر في المجتمع من مظاهر اليأس والتيئيس والجهل والخرافة والشائعات المحبطة والمثبطة، وكل أنواع المخدرات وجدت له الحلول الكفيلة بإنقاذ البلاد من طوفان التراجع والخواء والفشل وكل مظاهر الكسل واليأس؟

وهل ما يتصف به كثير من المواطنين والمسؤولين من صفات اللامبالاة وضعف الإحساس بالمسؤولية والجدية والاجتهاد إلا انعكاس لغياب التربية على علو الهمة، وغياب برامج اجتماعية لاستنهاض الهمم وتكوين الأطر القوية الفاعلة؟

إن الأمة بحاجة إلى أبنائها، وإلى استثمار ما حباهم الله من طاقات ومواهب دفينة وقدرات عالية، والتي إن لم تستثمر وتنمى انقلبت سيفا قاتلا في وجه الأمة، لذا فمن واجبات الوقت على الأمة صرف جهودها إلى التربية الحقة في مجال الأبناء والتربية على علو الهمة، وقوة الإرادة، وصدق الاجتهاد وسلامة التفكير، وحسن الخلق، وإنشاء مؤسسات لاحتضان أصحاب المواهب والطاقات، وتنميتها وتهيئة الجو المناسب لتوظيفها، وتسخيرها في ما ينفع العباد ويرفع البلاد.

التمويلات البنكية البديلة بالمغرب.... (تتمة)

الناحية الشرعية،ثم السلم و الاستصناع. ويقصد بالمضاربة "أن يدفع رجل ماله إلى آخر يتجر له فيه، على أن ما حصل من الربح بينهما حسب ما يشترطانه"(4)، فهذا العقد يقوم على أساس تقديم المال من جانب و العمل أو الجهد من جانب آخر، على أن تكون حصة كل من الطرفين في الربح جزءا مشاعا ومعلوما. وتعتبر هذه الصيغة في جوهرها نظاما يؤلف بين رأس المال والجهد الإنساني على أساس المشاركة في الغنم والغرم.

أما عن أهمية هذه الصيغة الاستثمارية فتكمن في كونها تسخر المال لكل قادر على العمل فيه بحسب خبرته ومهنته، وتزداد أهميتها إذا ما تم تطبيقها في إطار العمل المنظم لتستوعب مختلف المجالات، وبالتالي تساهم في تحقيق التنمية والتخفيف من حدة البطالة، خاصة بالنسبة لأصحاب الكفاءات والخبرات. وكما هو معلوم فقد تم تطوير نظام المضاربة من صيغته الثنائية البسيطة إلى صيغة أكثر شمولية، وهي ما يطلق عليها بنظام المضاربة المشتركة.

أما عقد السلم فهو نوع من أنواع البيوع المشروعة والذي يتم من خلاله تقديم الثمن، أي أداؤه مسبقا وتأخير المثمن كالبضاعة مثلا إلى أجل، وهو ما يستفاد من تعريف الإمام الدردير وهو من علماء المذهب المالكي والذي جاء فيه : "بيع يتقدم فيه رأس المال ويتأخر المثمن لأجل"(5). وتكمن أهمية هذا العقد في كونه يمثل بديلا حقيقيا وشرعيا للتمويل عن طريق القرض بفائدة، فبفضله يتم تغطية نفقات الإنتاج، وتطوير وسائله وتحسين ظروفه. كما أنه يكون أرفق من التمويل الربوي حيث إنه لا يضيف إلى رأس المال التكلفة التي تضيفها الفائدة، والتي تزداد نسبتها كلما عجز المدين عن الوفاء في الوقت المحدد.

وبخصوص عقد الاستصناع، فهو عقد بموجبه يلتزم المشتري بشراء شيء مما يتم صنعه، على أن يلتزم البائع بدوره بتقديم الشيء المصنوع وفق مواصفات محددة، وبثمن متفق عليه. ويتضمن عقد الاستصناع معنى الإجارة، حيث إن الصانع سوف ينتج الصنعة المطلوبة بنفسه وفقا للمواصفات التي حددها المستصنع، وذلك مقابل ثمن محدد هو بمثابة أجر. والفرق بين العقدين، أن العامل في عقد الاستصناع يأتي بمادة الاستصناع، أما في الإجارة فمادة العمل من طالب الصنعة. كما يشبه عقد الاستصناع عقد السلم "لأنه بيع المعدوم، وأن الشيء المصنوع ملتزم عند العقد في ذمة الصانع البائع. ولكنه يفترق عنه من حيث إنه لا يجب فيه تعجيل الثمن، ولا بيان مدة للصنع والتسليم، ولا كون المصنوع مما يوجد في الأسواق"(6). وتتجلى الأهمية الاقتصادية لهذا العقد في كونه يمثل أداة شرعية لحث صغار المنتجين والصناع على الإنتاج، وكذا تمويل المشروعات الاستثمارية، وتحفيز المقاولات الصغرى والمتوسطة على تحقيق إنتاجية، وتوفير الإمكانيات اللازمة لتطوير عملها.

ونأمل أن يتم إخراج هذه الصيغ الشرعية إلى حيز الوجود في أقرب وقت ممكن كي تستفيد منها المقاولات المغربية، وبالتالي خلق ديناميكية جديدة في مجال الاستثمارات لتحقيق تنمية تخدم مصالح المجتمع، وتمكنه من توفير مختلف حاجياته سواء على مستوى التمويل، أو على مستوى الإنتاج بشكل عام.

1- د. سعد الدين العثماني، التطبيقات المعاصرة للاقتصاد الإسلامي،مجلة الفرقان،ع:42، ص:4.
2- ينظر: جريدة التجديد ع 2274 ص:06 / ثم جريدة المساء ع:1151 ص:9.
3- ينظر نص الحوار الذي أجرته جريدة الصباح مع الدكتور عمر الكتاني بتاريخ :2010/02/09..ع:3058 ص:6.
4- الإمام ابن قدامة، المغني ج5/ص134.منشورات المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
5- الإمام الدردير، الشرح الكبير ج3/ص195.(مطبوع بهامش حاشية الدسوقي) دار الفكر.
6- د.وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته ج4/ص631. ط:2، دار الفكر دمشق.

رسائل على طريق النهوض

أحمد طاهر أبوعمر
مدير تحرير مجلة الفرقان الأردنية

تمهيد

الحياة الآن لم تعد كما كانت قبل عشرات السنين.. إن التسارع في مفاصل الحياة على صعيد الفرد أو الجماعة تسارع لا قبل لنا باللحوق به.. كل يوم يمرّ من حياتنا يزيد في أعمارنا ولن يعود.. ثم تمرّ أيام وأيام وتنتهي كما انتهت أيامنا الماضية.. لكن الحصيف البليغ من يهيئ نفسه لغده، من يجعل من أيامه القادمة أياماً حافلة بالعطاء، يعيشها كأنه ما زال في بداية الطريق.. ينجز ويضيف.. حتى إذا امتدت الأيام وطال أمد العمر والآمال، لم تأكله الحسرة على ما فات.. أمريكا تفكر أن تكون أبعد مسافة بين دولة ودولة بعد عشر سنوات لا تتجاوز الساعة أو الساعة والنصف عبر الجو.. فمثلاً، المسافة التي تقطعها الطائرة الآن بين الأردن وأمريكا تبلغ اثني عشر ساعة تقريباً، قد تصبح بعد عشر سنوات ساعة إلا ربعاً فقط..

اسعوا إلى الأمجاد بالعمل الدؤوب:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي».

لذا أقول للشباب اليوم في هذا العمر الفتي: اهتبلوا فرص العمر واقتنصوها، لا ترضوا بالقليل، ولا بفتات الموائد، ودعوا التسويف:

كن صارماً كالوقت فالمقت في (عسى)
وخلّ (لعلّ) فهي أكبر علة

لترنو أعينكم إلى الأمجاد والإبداع.. على الصعد كافة: الشخصية، والأسرية، والمجتمعية، والعلمية، وفي مجال الاختراع. نجم الدين أربكان -رائد البعث الإسلامي الحديث في تركيا - أول وأصغر بروفيسور فيها... كان عمره آنئذ (29) عاماً.. له براءة اختراع في تطوير محركات الدبابات بأنواع الوقود.. أنشأ الصناعات الحربية، وطوّر السكك الحديدية.. هذا الرجل رحمه الله كان شامة في سماء الأناضول.. خدم دينه بعلمه.. وخدم شعبه بذكائه، وكان لا يتحدث إلا عن مجد الأمة وضرورة استعادته من جديد بعد إسقاط خلافة بني عثمان.. هذا الرجل بنى قوة في العدد، قوة مجتمعية، امتدت أركانها طولاً وعرضاً، فأصاب خيرُها خلقاً كثيرين.. فإلى جانب الاقتصاد القوي لم يغفل الإعلام، فأنشأ الفضائيات التي تروّج لفكر الأمة وعقيدتها وسط محيط يزخر باللادينية، ويطفح بالفساد والمحسوبية، ويضجّ بالإقصاء والاحتكار.. هو أربكان.. صنع حراكاً عظيماً ما زالت آثاره بادية في بلده حتى الآن.. رجل سعى إلى المجد فلبى نداءه.. هذا نموذج من النماذج الناجحة في وطننا الإسلامي.. جهد فردي أثمر فكان له ما أراد.. ألم يقل الرافعي: "إن لم تزد شيئاً على الدنيا، كنت أنت زائداً عليها"؟!

إذن، السعي إلى المجد -أيّاً كان شكله- أمر قريب المنال، لا يقتصر على كبير دون صغير، ولا صغير دون كبير؛ فكثير من كبار السن من بدأ يصنع المجد بعد الأربعين، والمجد هذا لا يحتاج إلا إلى أمرين متلازمين هما اتخاذ الأسباب والتوكل على الله، قال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ وقال له أيضا: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾(المائدة: 67). فالفعل واتخاذ الأسباب ثم التوكل على الله هما الأساس الذي يضمن الوصول.. ألم يقل عُقْبة بن نافع -فاتحُ المغرب - يوماً: لو علمت أن برّاً وراء هذا البحر لخضته في سبيل الله؟!

يقول (ألبرت أينشتاين) : "الشيء الوحيد الضروري لانتصار الشر في العالم، هو فقط ألا يفعل الأخيار أي شيء".

الإتقان:

ولنعلم جميعاً -شيباً وشبّاناً- أن كل شيء يحتاج إلى صناعة.. وأول هذه الصناعات: صناعة الحياة.. والدعوة إلى الله صناعة.. والإعلام صناعة.. والتربية صناعة.. والتعليم صناعة.. والاقتصاد صناعة.. والنفوس صناعة.. والفكر صناعة.. وهذه الصناعة هي إتقان العمل.. **فليس كل من يحمل اسم الإسلام داعية يعي طرائق البلاغ.. بل الداعيةُ من يحسن عرض دعوته بالحكمة قبل الموعظة، والحكمةُ وضع الشيء مكانه الصحيح..**

لا عذر لأحد الآن -أفراداً وجماعات وحكومات- أن يفرط بالعربية، وأن تُمزَّق أستارُها بحجة المعاصرة وتشعب

فمن ملكها ملك الموعظة واستقرت كلماته في القلوب دون واسطة، واستوى نوره على النفوس دون جهد، مع توافر بلاغة وأناة..

وليس كل من امتطى ظهر الإعلام صار إعلاميّاً بارزاً.. فالإعلام صناعة بحاجة إلى دربة علمية وخلفية ثقافية؛ لأن الإعلامي القدير إعلامي محاور متعدد الثقافة..

وليس كل من تصدّى للتعليم صار معلّماً.. فالتعليم صناعة استراتيجية يقوم بتكوين العقل، وصياغة النفس، وبناء الشخصية العلمية، وتشكيل السلوك، والخروج من الجمود، وإطلاق الطاقات، وتوفير أسباب الإبداع.

كما ليس كل مغنٍّ أو منشد يصلح أن يكون مطرباً أو منشداً، فهناك كثيرون سكوتهم أولى وأجدى!

وهكذا، **فالوصول إلى المجد والسؤدد يحتاج إلى إحسان العمل وإتقانه، ولا غرابة في أن ينال هذا (المتقنُ) حبَّ الله وحب عمله، قال رسول الله ﷺ : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»(رواه الطبراني، وصححه الألباني).**

لقد قال الأوائل: إنما الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل. ولا يكون الإتقان إلا بالصبر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

العربية كأسلوب للنهضة

علمتني اللغة العربية حب الحياة.. لا حبّ زينتها، وإنما حبُّ من يسعى إلى بذر الحب في النفوس وفي القلوب بل وفي الجمادات، وإنما حبُّ من يسعى إلى غرس المعرفة والعلم في العقول.. **إن اللغة العربية التي أهملناها، يقول فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «تعلُّم العربية يزيد في العقل والمروءة» وأنا أقول: من ملك زمام العربية ملك كل شيء في هذه الحياة.. وليس صحيحاً أن العلوم المعاصرة ومصطلحاتها الأجنبية تقصر دونها العربية، ففي دمشق -ومنذ عشرات السنين- تُدرَّس هذه العلوم بالعربية وبنجاح منقطع النظير.**

فلغتنا تستوعب مصطلحات عصرنا التقنية أيما استيعاب، وتحتويها بما حباها الله من غنى مفرداتها، وغنى تعبيراتها، وغنى توصيفاتها، وغنى شموليتها للمكان والزمان، وإلى أن تقوم الساعة.

بل إن هناك كلمات -كما يقول الدكتور عدنان النحوي- مثل (آية)، وهي "لفظة معجزة بنفسها، توحي بالعلو والسموّ، يترجمونها بالإنجليزية (sign) وشتان بين المعنيين". "وكلمة (الرحمة) تترجم حيناً (mercy) وحيناً آخر (Kindness)، ولكن كلمة (الرحمة) تظل أغنى معنىً وأندى ظلالاً وأوقع جرساً".

و"كلمة (التقوى) وما يشتق منها: المتقون، اتقوا، فإنها تحمل من المعاني والظلال ما لا يمكن حصره في اللغات الأخرى بجُمل وشروح".

لماذا كان "الإعجاز اللغوي" -إذن- أهم أنواع الإعجاز وأبرزها؟ لأن الإعجاز اللغوي يأتي في جميع سور القرآن وآياته، أما أنواع الإعجاز الأخرى فهي ليست كذلك. مثال: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعدَ من البيت وإسماعيل﴾(البقرة: 127)، جاءت كلمة (إسماعيل) متأخرة ولم تأت بعد كلمة (إبراهيم) مباشرة، للدلالة على أنهما لم يكونا متساويين في الجهد والقدرة على البناء، فـ (إبراهيم) رجل مكتمل الرجولة، بينما كان (إسماعيل) صبيّاً يساعده.

إن العربية لغة التواصل الحقيقية بين العرب بعضهم بعضاً، وبين عدد كبير من بلاد المسلمين.. ولم لا، فهي لغة القرآن الذي لا يقرؤه الأعجمي -فضلاً عن العربي- إلا بها.. والعربية جسر واصل بين تاريخنا وبين عالمنا المعاصر.. لم تضعف على ألسنة العرب إلا حين ابتليت بلادنا بالأجنبي يحتلها ويستنزف ثرواتها ويتآمر على ثقافتها ودينها، وينشر ثقافته على حسابها.. لذا لا عذر لأحد الآن -أفراداً وجماعات وحكومات- أن يفرط بالعربية، وأن تُمزَّق أستارُها بحجة المعاصرة وتشعب المصطلحات!

اللغة العربية هي لغة الجمال.. الجمال الحقيقي.. اقرؤوا أيها الناسُ القرآن.. تجدوا الجمال في ألفاظه.. عن الإنسان، والشجر، والدواب، والسماء، والأفلاك، والأرض، والبحار، والجمادات، وكل ما يمت إلى الحياة والأحياء.. وانظروا كيف استطاع الأدباء أن يعبروا عن دواخلنا، عن كوننا، التعبيرَ الجميل، المزركشَ بالألفاظ الرائعة، والمزيّنَ بالمعاني الرائقة.

اسمعوا إلى الرافعي وهو يصف القرآن يقول: "ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة.. ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح فيها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان".

لغتنا العربية أسلوب بديع وكنز ثمين.. إنها لغة الحب.. انظروا كيف تأثر الأدباء غير العرب بالقرآن ولغته، فهذا الأديب الألماني الكبير (جوته) يقول عن القرآن: إنه أغنى كنز.

هذا الرجل تأثر بدلائل العظمة في مخلوقات الله، تأثر بصغر الكائن الذي ضُرب به المثل في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾(البقرة: 26)، فنجده يضرب المثل بشيء مشابه في الصغر وهو ريشة طاووس، فيقول:

رأيت بدهشة وابتهاج
ريشة طاووس بين صفحات القرآن
مرحباً بكِ في هذا المكان المقدس
أغلى كنز بين بدائع الأرض

وهو يبرر هذا التمثيل بريشة الطاووس فيقول:

لم لا أصنع من الأمثال ما أشاء
ما دام الله قد ضرب مثل البعوضة
للرمز على الحياة

وتوقف (جوته) أمام قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾(البقرة: 115)، فألهمته هذه الآية هذه المقطوعة الشعرية التي يقول فيها:

لله المشرقُ.. لله المغربُ
والأرض شمالاً.. والأرض جنوباً
تسكن آمنةً.. بين يديه

وتأثر (جوته) بالأسلوب العظيم الذي خاطب به القرآن الكفار، الذين يرفضونه ويشككون فيه ويقللون من شأن النبي محمد ﷺ ودعوته.. يقول تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾(الحج: 15)، فجعل ينشد:

النبي يقول :
إذا اغتاط أحد من أن الله قد شاء
أن ينعم على محمد بالرعاية والهناء
فليثبت حبلاً غليظاً بأقوى عارضة في قاعة بيته
وليربط نفسه فيه
فسوف يحمله، يكفيه
ويشعر بأن غيظه قد ذهب.. ولن يعود!!

وغير (جوته) كثيرون، أدلوا بدلوهم في بيان جمال أسلوب القرآن.

أنا عربي أحب اللغة العربية، لقد علمتني ودفعتني لأقول:

القرآن

- "القرآن كنز الكنوز.. نور الله وسرُّه.. خضع له الجبابرة.. وتطامن لعلوه القياصرة.. فكان فرعون في ثبج الأمواج الطامرة.. فانقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة".

الدعوة الصامتة : دعوة واجبة على كل مسلم ومسلمة

عبد القادر محمد دغوتي

إن في الدعوة الى الله فضلاً كبيراً يناله كل من سلك سبيلها مخلصا نيته للحق سبحانه. ويكفيه شرفا أنها وظيفة الرسل والأنبياء، ومن سار على دربهم من العلماء والأصفياء.

وقد جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة أوامر جليلة، توجب على أهل الإيمان والإسلام الانخراط في سلك الدعوة إلى الله، وتبليغ آياته، وإيصال الخير الذي جاء به نبيه عليه السلام، للعالمين. قال الله تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾(آل عمران : 104) وقال جل وعلا : «وادع إلى ربك، إنك لعلى هدى مستقيم﴾(الحج :67) وقال النبي ﷺ : «بلغوا عني ولو آية»(1) وقال : «فليبلغ الشاهد الغائب»(2).

والحق أن العلماء اختلفوا في وجوب الدعوة الى الله، هل هو تكليف يعم جميع أفراد المسلمين، أم أنه خاص ينطبق فقط على من بلغ درجة من العلم تمكنه من الفهم الدقيق والمعرفة العميقة بآليات الدعوة وطرقها وقواعدها(3)، حتى يكون عمله فيها على بصيرة ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾(يوسف : 108).

ومهما يكن فإن الدعوة إلى الله، ليست -في الحقيقة- شكلا واحدا، ولا رسما منفردا يجب على كل داع أن يلتزمه. وإنما الدعوة إلى الله تتخذ صورا متعددة تتوحد كلها حول جوهر واحد هو إعلان الإسلام وإشهاره بين الناس.

وعليه فإن المنخرط في سلك الدعوة يتخير من أشكالها وصورها ما يلائمه ويليق به من حيث وضعيته علميا وثقافيا واجتماعيا...ثم يصوب مسيرته الدعوية بإخلاص القصد نحو الجوهر الذي هو – كما سلف– نشر الدين وتبشير العباد به.

● **الدعوة إلى الله بالحال والفعال :**

ولعل الصورة الوحيدة من صور الدعوة، التي تليق بعموم المسلمين وخصوصهم، ويستطيعها كل فرد منهم، هي الدعوة إلى الله بالحال والفعال، وذلك بامتثال قيم الإسلام وتنزيلها في المعاملة والسلوك.

فلا ريب أنه يتوجب على كل مسلم التحلي بقيم دينه، مثل قيمة الصدق في القول والفعل، وقيمة الجدية والإتقان في العمل والوظيفة، وقيمة النظافة في الملبس والمركب والطريق،والسوق.. وقيمة النظام، وقيم الرحمة والعطف والرفق والتسامح والكرم والحياء... الخ

ومن ثم يكون المسلم -بتجسيده لهذه القيم- شارة بين الناس، تذكرهم بالله إذا نسوا وتدلهم على طريق الخير إذا ضلوا... وهذا هو المقصود بالدعوة إلى الله تعالى بالحال والفعال، ولا يشترط فيها كثير علم، ولا فصاحة لسان.. فكان لزوما أن تكون هذه الصورة من الدعوة واجبا شرعيا على كل مسلم ومسلمة، عالمهم وعاميهم.

● **الدعوة إلى الله بالحال والفعال أبلغ وأعمق أثرا من مجرد الدعوة باللسان والمقال :**

إن إلقاء الخطب والدروس والمواعظ من على منابر المساجد وغيرها، طريق مهم في الدعوة والتربية والتوجيه، لكن سالكه يحتاج الى قوة دافعة في اتجاه تحقيق القصد وبلوغ الغاية.

وتلك القوة الدافعة إنما هي ترجمة الخطبة القولية إلى خطة فعلية، يلمس الناس أثرها في مظهر الواعظ والخطيب وفي سلوكه وتعامله، ومدى انخراطه الفعلي في العمل الاجتماعي و التعاوني التكافلي الذي تدعو إليه حاجة مجتمعه، ومدى حرصه على نفع الناس بما يستطيع...

فلابد للداعي إلى الله،أن يزكي قوله بفعله، بمعنى أن يجعل قوله متبوعا بفعل، بل مسبوقا به. أو بمعنى آخر : أن يتحلى بقيم الإسلام في فعله وسلوكه قبل أن يدعو إليها بقوله ولسانه. هذا حتى تكون لدعوته القولية قوة تجتاز بها الآذان إلى القلوب فتهزها وتحركها نحو الخير.

وإلا فرب مسلم ملتزم بقيم الإسلام يمشي بها بين الناس وهو صامت، خير من عدد من الخطباء الفصحاء البلغاء ممن لا عمل لهم يزكي أقوالهم، بله اذا خالفت أعمالهم أقولهم. وقد أنكر الله على بعض علماء اليهود إذ كانوا يدعون أقرباءهم الى الإيمان والثبات على دين محمد عليه السلام لأنه حق، وهم أنفسهم لا يعملون بما يدعون إليه، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون﴾(البقرة : 44) وعن النبي ﷺ أنه قال : "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"(4).

■ **خاتمة :**

– إن الدعوة إلى الله تعالى واجب شرعي على كل مسلم ومسلمة..

– إن كل مسلم مكلف بالدعوة إلى الله بشرائطها و ضوابطها، فإنما التكليف في الإسلام منوط بتحقق شروطه.

– إن الدعوة إلى الله لها مراتب، ولها صور وأشكال؛ وإن من أعلى مراتبها أن يكون القول فيها مسبوقا أو متبوعا بفعل يثبته ويصدقه، وإن من صورها التي يستطيعها كل فرد من المسلمين، الدعوة إلى الله بالحال والفعال، وذلك بامتثال قيم الإسلام في السلوك والمعاملة. وهذه هي الدعوة الصامتة التي لا تتطلب بلاغة ولا فصاحة. ومن ثم كانت واجبة على كل مسلم ومسلمة.

1- أخرجه الامام البخاري في صحيحه، كتاب : أحاديث الأنبياء، باب : ما ذكر عن بني اسرائيل..

2 – جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الحج، باب : الخطبة أيام منى

3 – قال ابن حيان الأندلسي –مثلا– في تفسير قول الله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير..﴾الآية. قال : "والظاهر أن قوله "منكم" يدل على التبعيض... لأن الدعاء الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يصلح الا لمن علم المعروف والمنكر، وكيف يرتب الأمر في اقامته وكيف يباشر. فان الجاهل ربما أمر بمنكر أونهى عن معروف..." البحر المحيط في التفسير ج3 ص 289 – دار الفكر.

4– أخرجه الامام مسلم في صحيحه، كتاب : كتاب الايمان أ باب : بيان كون النهي عن المنكر من الايمان وأن الايمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

الصُّورَةُ الفَاضِحَةُ فِي وَسَائِلِ الإِعْلاَمِ مِهنِيَّةٌ أَمْ شَيءٌ يُرَادُ؟

عبد الكريم القلالي(*)
Karim_kallali@hotmail.com

من ينظر إلى واقع الإعلام بشتى أنواعه المرئي منه والمسموع يلاحظ قاسما مشتركا بين جميع وسائل الإعلام إلا ما قل منها؛ ذلك القاسم هو التركيز على عرض صور فاضحة بمناسبة أو بدون مناسبة، ويبدو للعيان التعمد الواضح بإظهار بعض الوجوه والصور لجلب المشاهد ولو عارض ذلك القيم الإسلامية والأخلاقية للفئة المستهدفة؛ ولو أخذنا الفضائيات التي تنقل الأخبار كمثال؛ فسنجد التركيز على العنصر النسوي في عرض النشرات أمر يؤخذ بعناية واهتمام، ولا يقدم من المذيعات إلا من توفر فيها عنصر إثارة الغريزة لدى المشاهد؛ فيتحول المشاهد ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ من متابع للخبر إلى متابع لناقلة الخبر، ولا أدل على هذا مما وقع فيه عدد من أسرى المتابعين لشخصيات معينة؛ أفصحوا في عدد من مواقع الشبكة العنكبوتية أنهم يتابعون النشرة لما تكون فيها فلانة أو علانة، وآخرون فعلوا أكثر من ذلك؛ فدونوا في حق بعضهن مدونات سجلت بأسمائهن، وأكثروا القيل والقيل حول أخبارهن وأوصافهن، حالهم أشبه بمجنون ليلى الذي أعمى الله بصيرته.

وعدد من البرامج تتابع لا رغبة في مضمونها، وإنما إعجابا بشكل المذيعة لدى الذين ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وقد تفطن القائمون على الإعلام لهذا العنصر الذي يجذب هذا الصنف من مرضى المشاهدين؛ فتنافسوا في تطويره وتسابقوا في تشكيله، وطوروا مذيعاتهم مع آخر موضة ظهرت، ومن تعذر معها ذلك أجريت لها عملية معنوية بغسل دماغها لتفعل، أو حسية بتغيير شكلها أو الزيادة أو النقص في عضو من أعضائها؛ وقد وصلت عمليات العضو الواحد أكثر من عملية لدى بعض المذيعات.

ولا غرو أن نجد مقابلات التوظيف في المجال الإعلامي يراعى فيها جانب الشكل بعناية ودقة؛ ومن كان مظهرها مظهر حشمة وعفاف؛ فلا مكان لها للظهور على الشاشة إلا إن تنازلت، أو ظهرت بنصف حجاب؛ كحال عدد من المذيعات التي يطلق عليهن اليوم: "المذيعات المحجبات"، وإلا وضعت في الكواليس في خدمات لا تظهر فيها للمشاهد.

وإذا كانت بعض المؤسسات الإعلامية الناشرة للفاحشة بوسيلة أو أخرى حتى التي تنقل الأخبار منها، تومئ لمذيعاتها بالظهور بشكل فاضح؛ لجلب الزبون؛ فإن بعض المذيعات وما أكثرهن يعمدن إلى التبرج السافر عن طيب نفس وطواعية، بل ونقل عن بعض الوسائل الإعلامية الشهيرة أن سبب الخلاف بين إدارتها ومذيعاتها كان سببه أحيانا اللباس؛ إذ تجد المذيعة تظهر بمظهر غير لائق والإدارة قد يكون لديها نوع من التحفظ أو تجد العكس.

ونجد التدقيق الكامل والعناية الخاصة بالبرنامج الذي تقدمه امرأة أكثر من العناية بالموضوع؛ والبرامج النسائية التي جلبت اهتمام عدد من المشاهدين في الغالب يكون سبب الاهتمام بعيدا عن فحوى البرنامج ومضمونه؛ سيما إن كانت المذيعة تعمد إلى وسائل إغراء فاضحة في أدائها؛ كتعمد بعض الإشارة والحركات، وإظهار المفاتن والتغنج بها؛ بمباركة من القناة التي تعمل بها.

واللجوء لهاته الوسيلة جاء بعد الفشل في نشر مواد نافعة ومضامين مثيرة تستحق المتابعة والمشاهدة؛ فلما فشلت هاته الوسائل في مخاطبة العقول التجأت إلى مخاطبة الشهوات والغرائز؛ التي قل من يصمد أمامها، وكما يقال: "يصمد الرجل أمام دبابة ويصعب عليه أن يصمد أمام امرأة" إلا من عصمهم الله من المومنين.

ولم يقتصر الأمر على المجال المرئي فقط بل حتى الإعلام المسموع يعمد فيه إلى اختيار الصوت الرخيم الذي يختار بعناية ودقة للتأثير في قلوب محبي الفاحشة، وفي أحايين كثيرة تجد شريحة واسعة غير راغبة في الاستماع لما يقال؛ بل رغبتها الاستمتاع بالصوت–ولله في خلقه شؤون– ومن اطلع على الخبايا رأى العجب العجاب، والأمر نفسه تعمد إليه بعض الجرائد التي أصبحت الصورة الفاضحة وسيلتها السامية لتحقيق النشر ورفع نسبة المبيعات بصورة غاية في الخسة والعري والدناءة؛ فتستهوي الذين لا يغضون أبصارهم؛ ويشترون الجريدة لا حبا فيها؛ بل للنظر في فضائحها؛ وهكذا يتطور الأمر شيئا فشيئا؛ حتى أصبح الأمر ثقافة لدى شريحة واسعة في المجتمع؛ فأصبحت صورة المرأة سيما ذات الشكل الجذاب التي تؤثر في مرضى القلوب خير أداة لجلب الزبون.

ولم تقتصر وسيلة استعمال المرأة في هذا على مجال الإعلام فحسب؛ بل تجاوز الأمر إلى قطاعات ومجالات أخرى واسعة؛ فأصبح التاجر في محله أيضا يستعين بفتاة سافرة معه تقابل الزبون وتخاطبه بكلام ناعم، وتغنج فاضح؛ لا يرضي الله ورسوله والمومنين، جلبا للزبون وتكثيرا للزوار؛ الذين لا يقصدون المكان بقدر ما يقصدون من فيه؛ على حد قول القائل:

وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديار

وفعل الفعلة نفسها أيضا أصحاب المحلات على اختلاف أنواعها وبضائعها، وصارت المرأة وسيلة هامة؛ تجلب الزبون بصورتها، ويأتي مرضى القلوب رغم أنوفهم وإن لم تكن لهم حاجة في البضاعة ويترددون على المحل دون أدنى رغبة في ذلك؛ سوى النظر والمشاهدة.

وهذا الأسلوب في الإغراء بالمرأة واتخاذها مطية لتحقيق أغراض خسيسة؛ مؤامرة في أصلها يهودية، وليس الأمر وليد اللحظة؛ بل تفطن له اليهود قديما؛ لما عمد أحدهم إلى تعرية امرأة مسلمة في سوق يهود بني قينقاع وكانت عفيفة محتشمة؛ كحال المسلمات يومئذ؛ فجلست واغتاظ

تتمة : ص 20

مفهوم الحضارة والتحضر في ميزان القرآن

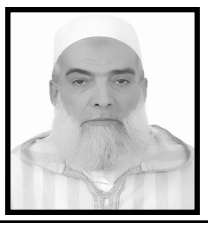

د. محمد البوزي

أ- تعريف الحضارة :

لفظ (الحضارة) لم يرد في القرآن الكريم، وإنما وردت مشتقات (حضر) في عدة مواضع منه، بمعنى الحضور والشهود أي : ضد الغياب، ولم يرد بالمعنى الاصطلاحي للحضارة.. وعليه فلا نجد في القرآن مصطلحا يدل على مفهوم محدد للحضارة بصورة ما، لكن مؤشرات المفهوم وعناصره تستفاد من مفاهيم أخرى تشترك معه في الدلالة، كالأمة، والعمران، والاستخلاف، والشهود، وغيرها من المفاهيم التي تتأسس عليها رسالة الإسلام للبشرية منذ آدم إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ، هذا فضلا عن ما ورد في القرآن من المبادئ والقيم والتشريعات كلها تشكل أسسا ومرتكزات لبناء حضارة إنسانية وإيمانية متميزة، كما سيأتي بيانه لاحقا.

أما(الحضارة) بمعناها الاصطلاحي عند المختصين فلها تعار يف عدة، تختلف باختلاف مذاهب الباحثين واتجاهاتهم، وتتعدد بتعدد الجوانب الحضارية التي يركز عليها كل باحث، غير أن المهتمين بالموضوع -مسلمين وغير مسلمين- يكادون يتفقون على أن الحضارة لاتقوم إلا على فكرة فلسفية أوعقيدة دينية، تنبثق عنها مبادئ وقيم وآداب تتجلى في أفكار الناس وفي سلوكهم وإنتاجاتهم العلمية والأدبية والفنية وغيرها،

يقول المفكر والداعية المسلم مالك بن نبي رحمه الله :"ومن المعلوم أنه حينما يبتدئ السير إلى الحضارة لا يكون الزاد بطبيعة الحال من العلماء والعلوم، ولا من الإنتاج الصناعي، تلك الأمارات التي تشير إلى درجة ما من الرقي، بل إن الزاد هوالمبدأ الذي يكون أساسا لهذه المنتجات جميعا(1).

وهوما يؤكده المفكر الألماني مؤرخ الحضارات (ألبرت أشفيتسر) الذي يعرف الحضارة تعريفا موجزا بقوله :" الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على حد سواء.."(2) ويضيف قائلا في مكان آخر :

"ولما بحثت في ماهية الحضارة وطبيعتها تبين لي في ختام المطاف أن الحضارة في جوهرها أخلاقية"(3).

وعلى منواله درج باحثون ومفكرون مسلمون، كالمفكر التربوي د. مقداد يا لجن الذي يرى أن أهم مايميز الحضارة في نظر الإسلام هي : "تقدم المجتمع وتفوقه من الناحية المادية والمعنوية في جميع مناحي الحياة الإنسانية، بروح خيرة، ونحوغاية خيرة في ضوء القيم الإسلامية"(4)، وكذا د. هاشم بن علي بن أحمد الأهدل في قوله: "الحضارة تتمثل في تقدم المجتمع وتفوقه من الناحية المادية والمعنوية والتنظيمية في جميع مناحي الحياة الإنسانية لإعمار الأرض وفق حاجات الأمة في ضوء المنهج الإلهي"(5).

وإذا كانت الحضارة أنماطا ومستويات ولها تعاريف عدة، فالسؤال الذي يفرض نفسه هو: ما حقيقة التحضر في السلوك الإنساني ؟ وهل للتحضر معيار محدد؟

ب- حقيقة التحضر ومعاييره :

إذا كان لفظ التحضرفي جانب السلوك الإنساني يعني التلبس بنمط حضاري معين بامتصاص قيمه الحضارية والتفاعل معها وإظهارها في السلوك والمعاملات، وإذا كانت الحضارة أنماطا ومستويات حضارية متنوعة، فالسؤال الوارد هو: ما نوع الحضارة التي ننسب إليها السلوك المتحضر؟ وما مقياس التحضر المطلوب؟؛ في أي منحى وفي أي اتجاه يكون؟ أهوفي تغيير السلوك والعادات والتقاليد مسايرة لنمط المجتمعات المتقدمة ثقافيا وصناعيا؟ وهوما يسمى بالتطور والتمدن العصري؟ أم هوالتحضر في الفكر والسلوك المنضبط بالأخلاق والقيم المثالية والدينية معا؟ أم هوالتحضر العلمي والثقافي في مختلف جوانب الحياة مجردا عن القيم..إلى غير ذلك من التساؤلات؟

ولعلنا بالرجوع إلى المستويات الأولى للحضارة وقارنا حياة الحضريين وسلوكهم بحياة البدويين وسلوكهم، يتضح لنا الفرق بين السلوك المتحضر والسلوك غير المتحضر، إذ بضدها تتميز الأشياء، كما يقال، وهوما ذهب إليه ابن خلدون لما عقد فصلا للمقارنة بين حياة البدويين، وحياة الحضريين، ويرى أن البداوة أصل الحضارة في قوله : (فصل في أن البدوأقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها)، ومما جاء تحت هذا العنوان في مقدمته قوله : «قد ذكرنا أن البدوهم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولاشك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي، وسابق عليه، لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدوأصل للمدن والحضر، وسابق عليهما لأن أول مطالب الإنسان الضروري، ولاينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلا، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها، ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده، عاج إلى الدعة وأمكن نفسه إلى قياد المدينة وهكذا..»(6).

وإن كان هذا النص لا يشمل كل مميزات أخلاق الحضريين عن أخلاق البدويين، فقد ورد فيه ما يمثل الأهم والأصل لغيره، وهومقارنة حياة التقشف -عند البدويين- والاقتصار على ضروريات العيش وما يرتبط بذلك من مظاهر الخشونة، بحياة التنعم والترف -عند الحضريين- التي تهتم بالحاجيات والكماليات وما ينتج عن ذلك من عوائد الترف والتنعم والميل إلى الدعة والمسالمة، علما أن ابن خلدون ذكر بالتفصيل - في الفصول الأخرى من المقدمة - ما يميز أخلاق البدومن الكرم والشجاعة على أخلاق الحضر المتواكلين على حماية الولاة..الخ

ومعلوم أن أهم ما يميز الحياة البدوية هي؛ ظروف العيش في بيئة قاسية غالبا، وفي وسط يتسم بالعزلة وقلة الاختلاط، وانتشار الأمية وقلة العلم، وسياد ة ثقافة سطحية، والشعور بالحرية أوالتحرر من القيود والأنظمة الاجتماعية، إلا ما تفرضه الأعراف القبلية أوالمحلية، هذه الظروف لاشك أنها تفرز أنماطا من السلوك والقيم منها ما هوإيجابي كالصدق والشجاعة والوضوح والعفوية، والكرم، وما أشبه، ومنها ما هوسلبي مثل: التحفظ مما هوطارئ وأجنبي، وحب الانفراد والتفرد بالملكية أو بالكلام والزعامة، والتعصب وعدم التسامح مع الغير، وقلة التعارف والتعاون، وضعف الانسجام والتكيف مع الوسط الجديد أو مع الفكر الآخر...الخ

وبذلك يكون التحضر في مستواه الأدنى هو: العيش مع الجماعة في وسط حضري مستقر يحكمه نظام اجتماعي أو أنظمة معينة -قد تكون قسرية- وينتشر فيه العلم وتبادل الخبرات فتتسع دائرته الثقافية إلى حد ما. والعيش في هذا الوسط له انعكاس على سلوك الناس وأخلاقهم حيث تشيع فيه قيم واتجاهات وعادات متطورة أومحدثة، وأهم ما يميزسلوك الناس في مثل هذا الوسط المتحضر، قيم : الانضباط مع النظام والجماعة، ومراعاة الذوق العام ، الانفتاح والتسامح مع ثقافة الآخرين وعدم التعصب للرأي الخاص، ثم الاستعداد للتعاون والشعور بالمسؤولية العامة وهكذا.

ج- التحضر في ميزان الإيمان والتقوى :

وحيث إن المقام يحرز -كما يقال- فلا يهمنا التحضر بمعناه العصري الذي يفيد مواكبة التمدن الصناعي الغربي وما يرتبط به من القيم الاستهلاكية والمظاهر المادية، وعليه، فالمقياس الذي نحدد به التحضر هنا هومقياس إسلامي شامل لما هو (فكري، أخلاقي، اجتماعي)، ونقول : إن التحضر في ميزان الإيمان والتقوى هو: بلوغ أقصى درجة من السموالروحي والرقي الأخلاقي، وبعبارة وجيزة هوبلوغ درجة الإحسان في كل شيء؛ في العبادة وفي العمل الصالح والخلق الحسن، فالمحسنون هم الذين يجسدون قيم التقوى في أداء الحقوق والواجبات وفي كل العلاقات الاجتماعية، وبذلك فهم يمثلون أرقي صفات النوع البشري، وكما لا يخفى فإن السمو الأخلاقي أوالفعالية السلوكية، هي غاية ومصب الفعاليات الأخرى كلها؛ الفكرية والروحية والإنجازية، كما يستفاد من قول الرسول ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(7) وكذا من قوله تعالى : ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾(الملك :2).

فالأحسن عملا هم الأقدر على المنافسة على مراتب الإحسان التي يبلغ فيها الإنسان أرقى وأكمل مستويات تكامله النفسي، وانسجامه الاجتماعي وعطائه الحضاري، الذي تفيض خيريته على البشرية بل وعلى كل المخلوقات.

1- شروط النهضة ص 55 عن د هاشم بن علي بن أحمد الأهدل في كتابه (أصول التربية الحضارية في الإسلام) طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ضمن (سلسلة الرسائل الجامعية) المملكة العربية السعودية 1428 هـ / 2007 م ص : 224.

2- فلسفة الحضارة ترجمة د زكي نجيب محمود ص 34 عن دمقداد يا لجن في كتيب(دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية(ط، دار الشروق أولى 1983 ص : 83.

3- نفس المرجع والصفحة.

4- ي نفسه.

5- في بحثه القيم: (أصول التربية الحضارية) سبق ذكره.

6- المقدمة ص 97.

7- مسند أحمد المستدرك والأدب المفرد للبخاري، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة 45.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

- داخل المغرب : 60 درهما.
- خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الاشتراكات باسم :

- جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
- أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب

الصور الفاضحة.... (تتمة)

اليهود من تسترها؛ فعمد أحدهم إلى كشفها، وهي جالسة بحيلة ارتكبها؛ حيث ربط ثيابها من الأسفل وأخذ طرف ثوبها من الأسفل، وربطه إلى طرف خمارها، المتدلي على ظهرها؛ فلما قامت ارتفع ثوبها من ورائها، وتكشفت أعضاؤها؛ فضحك اليهود منها؛ فصاحت المسلمة العفيفة، وتمنت لو قتلوها ولم يكشفوا عورتها؛ فلما رأى ذلك رجل من المسلمين سل سيفه-غيرة على عرض المسلمة-، ووثب على الصائغ فقتله؛ فشد اليهود على المسلم فقتلوه؛ فلما علم الرسول ﷺ بذلك، وأن اليهود قد نقضوا العهد وتعرضوا للمسلمات، حاصرهم حتى استسلموا، ونزلوا على حكمه.

ولما علم أصحاب الشهوات أثر هذا السلاح الفعال لدى الشريحة التي يغيب لديها الحس الديني استكثروا منه، وصار من كثرته أمرا عاديا وطبيعيا لدى فئات من الناس، بينما هو عمل في غاية الخسة والدناءة؛ فضلا عن كونه لا يرضي الله ورسوله وذوي الفطر السليمة من المومنين.

والحرة لا ترضى بنفسها أن تكون مطية تهان بهذا الشكل لجمع الثروة، وإن كان موقعها في أفخر المحطات التي يشار لها بالبنان.

وإذا كان حال الإعلام كذلك؛ فإن المحتجبة والمحتشمة بحجابها الشرعي وليس حجاب الخديعة والموضة؛ لا مكان لها في إعلام العصر؛ لأنها لا تظهر المفاتن؛ التي تثير المشاهد، وبالتالي فإن تحقيق نسبة محترمة من المتابعة لن يكون اللهم إذا كانت تتمتع بحرفية عالية ومهنية خارقة، تزاحم بها الرجل وتثبت تفوقها؛ ولذا فإن العفيفة والمحتشمة صورتها غير مقبولة شكلا لدى الإعلاميين من أصحاب الذوق الفاسد والإحساس الهابط، وما منعها أن تقبل نشراتها إلا أنها احتشمت وآمنت واتبعت، وكفاها ذلك شرفا وفخرا.

(*) استاذ التعليم العتيق، وعضو رابطة الكتاب والأدباء العرب. حاصل على شهادة: "العَالِمِيّة".

نافذة المرأة المسلمة

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

جمال : الفتى الـــذي جاء من أقصى الغرب يسعى

في قرية من تلك القرى المتربعة بين أكوام من خشاش تبن الحصاد الوافر، ونبتات الصبار المترامية، وببيت من بيوتها العريقة الجذور، التقيت ضمن شباب عائلة الزوج بجمال، الفتى المغربي الآتي من ألمانيا في عطلة صيفية ألف فيها أن يتحمل لفحات الشمس اللاهبة ليظل قريبا من أنفاس العائلة الكبيرة وعبق تاريخ تقلبها في مناكب الأرض بحثا عن مصدر للعيش الكريم، كما باقي العباد.

تغير جمال كثيرا، من صبي مشاغب يهوى تصيد أقرانه من أطفال العائلة بمقالب ماكرة، إلى غلام يافع، هادئ الطباع. والأعجب في تغيره هذا اللافت إقباله على قراءة القرآن الكريم والدقة في المحافظة على أوقات الصلاة.

اشترى جمال مصحفا كبير الحجم باهض الثمن، فاخر الطبعة، متقن الترجمة إلى اللغة الألمانية. إضافة إلى مجموعة من الكتب الدينية المفصلة لمجمل العبادات في الإسلام، هي كل ذخيرته، بل ذخيرته الأروع التي يفاخر بها أمام أفراد العائلة المنبهرين المتحيرين...

وكثيرا ما تابعت بعينين فضوليتين هذا التطور الهائل الذي أحال طفلا مستغرقا بشقوة طفولية لا تنتهي إلى جدية أخاذة أهالت على ملامحه إشعاعا نورانيا ليس حتما إلا انعكاسا لأعماق تسرب إلى شغافها نور كتاب الله عز وجل فكنس جحافل الظلام التي كانت تعشش عند مداخلها وتحاول النفاذ إلى غورها عند أول سقوط في فخ الرذيلة. تلك الرذيلة التي تنشب أظافرها في لحم أبنائنا حال يطئون أرض الغرب إذ تكشف عن مكامن فتنتها لترديهم قتلى بلا كفن.

أفلت جمال برحمة من الله عز وجل من المصيدة الغربية، وهو ذا، جندي من جنود الله يتشكل على حين غرة في رحمها، وعلى عينيها، على غير ما تشتهيه نفسها الخبيثة، وفي توقيت يقترن فيه الصيف بتسيب الغرائز وإفلات عفاريتها من القمقم للتخلص من أردية العفة مظهرا وجوهرا، اختار جمال أن يركن إلى صهد قرية الأجداد مصاحبا أنيسه الشريف : القرآن الكريم.

﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾، هكذا كان يرتسم في مخيلتي مشهد فورة صحوة الشباب المسلم بالغرب.

وكأنها زخات رحمة تساقط على نفسي الكسيرة لهنيهات عابرة إذ أستعرض هذا التكالب الضخم على الأمة، وأحدس بيقين قرب انبثاق شعاع الخلاص من غياهب الظلام بمقتضى سنن ربانية حكيمة، تقوض حصن الباطل وتحيله إلى قبض الريح، حين يستوي الحق على أديم سفينة النجاة.

وسرعان ما يعاودني الشعور بالانتكاس وأنا أستعيد في مخيلتي تفاصيل حوار دار بيني وبين جمال، قال فيه كلاما بسيطا وعميقا في نفس الآن، يلخص مصدر ذلتنا.

في ذلك الصباح، وأنا أجره إلى حديث مثقل بشجون الغربة ومظاهر العداء للمسلمين، سدد لي طلقة نارية من العيار الثقيل، وهو يقول لي بلغة عربية متلعثمة بفعل إقامته منذ الولادة في المهجر :

(الناس في المهجر ليس عندهم شيء يشجع على الإقبال على الإسلام، ومع ذلك يسعون بكل الوسائل للتعرف على الإسلام، وأنتم، كل شيء للتعرف على الإسلام متوفر عندكم.. الدولة مسلمة.. فيها المساجد وكتب الإسلام.. ووو... لكن ليس هناك اهتمام بالإسلام

المسجد هنا في القرية لا يرتاده إلا القلة من المسلمين)..

بكلامه حرك جمال في قلبي مواجع جمة، وذكرني بتلك الليلة التي امتلأت فيها ساحة القرية المترامية الأطراف بالرجال والنساء والأطفال استجابة لدعوة لحفل مختلط رقصت فيه النساء إلى مطلع الفجر، ثم والمنادي ينادي للصلاة، انسحب المحتفلون إلى مضاجعهم، يهدهدهم الشيطان ويهمس لهم : ناموا فإن عليكم ليلا طويلا.

وأمسى وأصبح وظل المسجد وحيدا،

أفما آن لهذا الليل أن ينجلي؟؟

.. وحدثني جمال عن حزمة البرامج الدعوية التي يعكف المسلمون على تنزيلها رفقة أولئك الغربيين الذين يعتنقون الإسلام أفواجا، بفعل الزخم الدعوي وهمة الفاعلين الدعويين من أبنائنا ومن المعتنقين.

همة عجيبة نتلمس ملامحها الرائعة الواعدة في الدفق الهائل لكمية المعلومات الدعوية الخاصة بالإسلام، التي نتلقاها يوميا عبر بريدنا الإلكتروني، في الوقت الذي ينحسر فيه إشعاع الدعوة ببلاد المسلمين، ويركن فيه كثير من الدعاة لاستراحة المحارب، استراحة لم تسبقها حرب ولا حتى شبحها.

وفي نفس السياق صادفتني حالة من هذا النكوص لو علم بها الدعاة من الصادقين لأجهشوا بالبكاء وانتابتهم كما انتابتني حالة خوف من حساب المولى العسير لغيابهم عن ساحة الأمر بالمعروف وانحسار المعين الدعوي بسبب فتور هممهم.

فقد التقيت بامرأة عجوز من معارف العائلة في زيارة جد عاجلة لظروف قاهرة، وهالتني الحالة الصحية لتلك السيدة التي عرفتها معافاة ولطيفة بسيمة، فقد أكل المرض جسمها وأحالها إلى شبه شلل، والأكثر هولا أن تلك السيدة الطيبة حين حدثتها عن البلاء ورحمة الله لعباده مع كل ابتلاء وسألتها أن تكثر من الدعاء مع كل صلاة، أجابتني بكل براءة:

- أصابني](وتعني الله) بكل هذه الأمراض و فوق ذلك تريدينني أن أصلي له

لايستحق (وتعني الله) أن أصلي له.

همست في أذنها وأنا أغادرها

- الله كريم صلي واسأليه العافية، فموعدك معه قد يكون قريبا، كما موعدنا جميعا فبماذا ستجيبينه ؟؟

فرفعت رأسها وكتفيها غير آبهة، وكم كان الأمر مأساويا، وأنا أراها تقف عند الباب بكل طيبوبة مودعة..

وافضيحتاه ماذا سنقول غدا لربنا..

هو ذا رمضان المعظم يحل بعد أيام معدودات، لا نكاد نتبين فيها معالم التأهب الأدنى، كما كان التأهب الأقصى للجيل الفريد أشهرا قبل حلول الشهر الفضيل.

و بأي حال يعود (شعباننا) مقارنة بـ(شعبانهم)؟؟؟؟

فجرا وأنا آخذ ماء ساخنا من الصنبور لصلاة الفجر، وصوت المؤذن يعلو فوق القرية الهامدة إلا من أضواء عزلاء هنا وهناك، كان جمال بالغرفة المجاورة يخف إلى الحمام للوضوء.. وشعاع من أمل دافئ يسري بداخلي المسكون بصور الوهن المستديم. هل كان المولى سبحانه عبثا يخاطب رسوله [داعيا إياه لمجافاة مضجعه ولزوم صلاة الليل.

هل يكون المنطلق إلا منها؟؟

كنت دائما أقف ذاهلة إزاء المعاني العجيبة لسورتي المزمل والمدثر..

هناك المنطلق..هناك التصفية قبل التحلية.

رمضانكم أتقى أيها الأحبة.. وحتى نلتقي في الموسم القادم بإذن الله تعالى لا تنسوني من الدعاء.

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

22– قبل فوات الأوان !

أتكون هي؟!

رآها مدرجة في دمائها بين السيارات... لم يعرفها حينها.. حوقل ومضى اتصلت به الشرطة.. هرع إلى المستشفى.. صدم.. أتكون فعلا ابنته؟ أي عري وأي تبرج؟!

فهم لماذا كانت الفتاة تحدق فيه، وهي تعبر الطريق... ظنت أنه يتعقبها، فخافت منه وهرولت، إلى أن صدمتها سيارة.. رغم أنه لم يعرف أنها ابنته!

لم ير ابنته متبرجة، ولو أمامه في البيت.. كان يلزمها بالحجاب، منذ طفولتها، ولو في البيت.. بدعوى هروب الملائكة إن هي عرت رأسها.. لم يداعبها قط.. لم يسمح لها باللعب في صغرها، ولا برفع صوتها.. معاملته لها كلها غلظة وفظاظة.. لم تختر قط لباسها.. فهو الذي يختار لها لباسا خشنا ويهددها دائما بتوقيفها عن الدراسة لتلزم البيت...!

الشارع فرصتها.. تبرج وميوعة.. تفتخر أن أباها لا يعرفها وهي تمر أمام متجره.. وفي البيت تلبس وتتصرف كما يريد هو...!

يسترق إليها النظر عبر الزجاج، وهي في غيبوبتها الطويلة تحت العناية المركزية يدعو لها.. يبكي ندما على سوء معاملتها.. يتمنى لو تعيش، فيحضنها بكل أبوته.. لو يعود الماضي، ليمنحها فضاء حرية، تمارس فيه طفولتها التي صادرها..!

ازداد حزنا حين زار عالما، فوجده بين طفلاته، يلاعبهن ويحضنهن وهن في لباس الطفولة.. فعرف الجواب عن تساؤله دون أن يسأله!

كانت تفيق من غيبوبتها أحيانا.. لكنها تعود إليها حين ترى والدها أو تسمع صوته..!

بكى فرحا وهو يمسح ناصيتها، ويدعو لها بالشفاء العاجل، ويعتذر لها..!

عاد إلى البيت، تفقد صغيراته.. ضمهن إليه وهن مندهشات.. فلم يسبق له ذلك.. وقد عزم على تغيير معاملته لهن وتربيتهن بالرفق والرحمة.. قبل أن يفوت الأوان!

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«سبعة يظلم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال : إني أخف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»(متفق عليه)

نافذة على التراث

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

من وظائف المتعلم وشروطه في التعلم

من ذلك: أن لا يتكبر على المعلم ولا يتآمر في العلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق. وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته. قال الشعبي "صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يده، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ". وقد قيل: "ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم"، فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين، وهو عين الحماقة، فإن العلم سبب النجاة والسعادة.

في معنى الحياء

في الحديث عنه ﷺ أنه قال لأصحابه: استحيوا من الله حق الحياء. قالوا: إنا نستحي والحمد لله، قال لهم : الحياء من الله حق الحياء؛ أن تحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وتذكر القبر والبلى، فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء. فالصاحب الذي يدوم لك هو الذي يصحبك وهو عالم بعينك لأن ذلك داع للسلامة من التكلف الرياء والتصنع، وليس ذلك إلا لمولاك العالم بخفاياك المطلع على سرك وعلانيتك إن عصيته سترك وأن اعتذرت إليه قبل عذرك.

من أقوال علي رضي الله عنه

ذكر المبرد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل عن الدنيا والآخرة، فقال: هما كالمشرق والمغرب، بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد عن الآخر.

وروى عنه رضي الله عنه أنه قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، وإن أحسنت حمدت الله عز وجل، وإن أسأت استغفرت. ولا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبته، ورجل يسارع في الخيرات. ولا يقل عمل مع تقوى الله، وكيف يقل ما يتقبل.

● بهجة المجالس لابن عبد الر

من حكم الفرس

قال الأصمعي: ذكر لنا أن أنوشروان لما ضرب عنق بزرجمهر، وجد في منطقته كتاباً لطيفاً فيه ثلاث كلمات: إن كان القدر حقاً فالحرص باطل، وإن كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز، وإن كان الموت لكل أحد راصداً، فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

● بهجة المجالس لابن عبد الر

وصف الدنيا لعلي بن أبي طالب

قال رضي الله عنه : إن الدنيا قد ارتحلت مُدبرةً وإنّ الآخرةَ قد ارتحلَتْ مُقْبلة، ولكل واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألاَ إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والترابَ فِراشاً والماء طيباً. ألاَ مَن اشتاق إلى الجنة سلَا عن الشهوات، ومَن أشفق من النار رجَع عن الحُرمات، ومَنْ زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات... إن لله عباداً كمن رأى أهلَ الجنة في الجنة مخلَّدين، وأهلِ النار في النار مُعَذّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسُهم عفيفة، وحوائجهم خَفيفة، صبَرُوا أياماً قليلةً لعقبى راحة طويلة؛ أما بالليل فصافّوا أقدامهم، تجري دموعُهم على خدودهم، يجأرون إلى اللّه: ربّنا ربنا يطلبُون فَكاكَ رِقَابهم؛ وأما بالنهار فحلماءُ عُلَماءُ بررةٌ أتقياء كأنهم القِدَاحُ ينظُر إليهمُ الناظر فيقول: مَرْضَى، وما بالقوم من مَرَض، ويقول: خُولِطُوا، ولقد خالط القومَ أمرٌ عظيم.

● عيون الأخيار لابن قتيبة

موعظة بليغة

بينما المنصورُ، الخليفة العباسي، يطوفُ ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: "اللّهم إني أشكو إليكَ ظهورِ البغي والفساد في الأرض وما يحولُ بين الحق وأهله من الطمع".

فخرج المنصورُ فجلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه، فصلى الرجلُ ركعتين واستلَم الركنَ وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصورُ: ما الذي سمعتُكَ تذكُر من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مَسَامعي ما أرمَضَنِي! قال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتُك بالأمور من أصولها، وإلا احتجزتُ منكَ واقتصرتُ على نفسي ففيها لي شاغِل. فقال: أنتَ آمنٌ على نفسك فقل.

فقال: إن الذي دخله الطمعُ حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لأنتَ. قال: ويحك وكيف يدخلُني الطمعُ والصفراءُ والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي! قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلكَ! إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمينَ وأموالَهم فأغفلتَ أمورهم واهتممتَ بجمع أموالهم، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجُر، وأبواباً من الحديد، وحَجَبَةً معهم السلاحُ، ثم سجنتَ نفسَكَ فيها عنهم، وبعثتَ عُمّالَكَ في جباية الأموال وجمعها، وقويتَهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرتَ بألا يدخُلَ عليك من الناس إلا فلانٌ وفلان نفر سميتَهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير، ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفرَ الذين استخلصتَهم لنفسك وآثرتَهم على رعيتكَ وأمرتَ ألا يُحجَبُوا عنك، تَجْبي الأموال وتجمعها ولا تَقسمُها قالوا: هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسَه! فَائتمروا بألا يصلَ إليك منْ علم أخبار الناس شيء؛ إلا ما أرادوا، ولا يخرجَ لك عاملٌ فيخالفَ أمرَهُم إلا أقصوه عنك ونَفَوْه حتى تسقطَ منزلتُه ويَصْغُرَ قدرُه، فلما انتشر ذلكَ عنكَ وعنهم، أعظمَهُم الناسُ وهابوهم، فكان أولَ مَنْ صانعَهم عُمالُكَ بالهدايا والأموال ليَقْوَوْا بها على ظلم رعيتكَ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظُلمَ من دونهم، فامتلأت بلادُ الله بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شُركاءك في سلطانك وأنت غافل، فإن جاء مُتظلم حيلَ بينه وبين دخول مدينتك؛ فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيتَ عن ذلكَ، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلَغَ بطانَتَكَ خبرُه سألوا صاحبَ المظالم ألا يرفعَ مَظْلمَتَه إليك، فإن المتظلَم منه له بهم حُرمة، فأجابهم خوفاً منهم؛ فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه، فإذا أُجهِدَ وظَهَرْتَ، صَرَخ بين يديك، فضُرِبَ ضَرْباً مُبَرّحاً، ليكون نكالاً لغيره، وأنت تَنظر فلا تُنكِر، فما بقاءُ الإسلام على هذا؟!

وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصّين فقدمتها مرةً وقد أصيبَ مَلِكُها بسمعه، فبكى يوماً بكاءً شديداً فحثه جلساؤه على الصبر فقال: أمَا إني لست أبكي للبلية النازلة بي، ولكني أبكي لمظلوم بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صوتَه؛ ثم قال: أما إذ ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادُوا في الناس ألاّ يلبَسَ ثوباً أحمرَ إلا متظلمٌ، ثم كان يركب الفيل طرفَيْ نهاره، وينظر هل يرى مظلوماً. فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله غلبتْ رأفتُه بالمشركين شُحَ نفسه. وأنت مؤمنٌ بالله من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتكَ بالمسلمين على شح نفسك!

فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبَراً في الطفل يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزالُ الله يلطُفُ بذلك الطفل حتى تعظُمَ رغبةُ الناس إليه، ولست بالذي تُعطي بل الله يعطي من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد السلطان فقد أراك الله عبَراً في بني أميةَ: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضةَ وأعدوا من الرجال والسلاح والكرَاع حتى أراد الله بهم ما أراد، وإن قلتَ إنما أجمع المالَ لطلب غاية هي أجسمُ من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنتَ فيه إلا منزلةٌ لا تُدرَك، إلا بخلاف ما أنتَ عليه يا أميرَ المؤمنين؛ هل تُعاقب من عصاك بأشد من القتل؟

فبكى المنصور وقال: يا ليتني لم أخْلَقْ! ويحكَ! فكيف أحتال لنفسي؟ قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم ويرضَوْن بهم فاجعلهم بطانَتك يرشدوكَ، وشاورْهم في أمرك يُسددوك. قال: قد بعثت إليهم فهربوا مني. قال: خافوا أن تحملَهم على طريقتك، ولكن افتحْ بابكَ واحجب حجابَك، وانصُرِ المظلومَ، واقمَعْ الظالمَ، وخذ الفيء والصدقات مما حل وطابَ، واقسمه بالحق والعدل على أهله، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُسْعدوك على صلاح الأمة.

وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد إلى مجلسه وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجَدْ.

● عيون الأخبار لابن قتيبة

كلمات في وصف الدنيا

وعظ أعرابي ابنه، فقال: يا بني! إن الدنيا تسعى على من يسعى لها، فالهرب قبل العطب.

وقال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا الدنيا؛ فنعم مطية المؤمن يبلغ عليها الخير، وبها ينجو من الشر".

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها، ودار نجاةٍ لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزود منها، مهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومساجد أنبيائه، ومتاجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها، وقد أذنت ببينها، ونادت بفراقها، فيا أيها الذام لها، بم خدعتك الدنيا؟ أم بماذا استذمت إليك؟ أبمصارع أمهاتك في الثرى؟ أم بمضاجع آبائك للبلى؟ لقد تطلب علينا الشفاء، واستوصف الأطباء حين لا يغني عنه دواؤه، ولا ينفعه بكاؤه.

وقيل لنوح عليه السلام -حين حضرته الوفاة- : يا نبي الله! لقد بلغت من العمر ما بلغت، فصف لنا الدنيا. فقال: ما وجدت الدنيا مع طول عمري فيها إلا كبيتٍ له بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر.

● بهجة المجالس لابن عبد الر

من كمال التعلم والتعليم

قيل: إذا جمع المعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم: الصبر والتواضع وحسن الخلق. وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم: العقل والأدب وحسن الفهم.

● إحياء علوم الدين للغزالي

تظلم أعرابي

دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك، فقال: أتتْ علينا ثلاث سنين، أما الأولى فلَحَت اللحمَ، وأما الثانية فأكلت الشحْم، وأما الثالثة فَهاضَت العظمَ، وعندكم فضولُ أموال، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده، وإن كانت لهم ففيمَ تُحظَرُ عنهم! وإنَ كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يَجْزي المتصدقين. فأمر هشام بمال فقُسِم بين الناس وأمرَ للأعرابي بمال، فقال: أكل المسلمينَ له مثل هذا؟ قالوا: لا، ولا يقوم ذلك بيتُ مال المسلمين. فقال: فلا حاجةَ لي فيما يبعثُ لائمةً على الناس على أمير المؤمنين.

● عيون الأخبار لابن قتيبة

كتاب رجل إلى بعض الزّهاد

كتب إليه: إنّ لي نفساً تُحبُّ الدَّعةَ، وقلباً يألف اللذات، وهمةً تَسْتَثقلُ الطاعةَ، وقد وهَّمتُ نفسي الآفاتَ، وحَذَّرتُ قلبيَ الموت، وزجرتُ همَتي عن التقصير؛ فلم أرضَ ما رجع إليَّ منهن، فَاهد لي - رحمك الله- ما أستعينُ به على ما شكوتُ إليكَ؛ فقد خفتُ الموت قبلَ الاستعداد.

فكتب إليه: كَثُر تعجّبي من قلبَ يألَفُ الذنبَ، ونفسٍ تطمئنُ إلى البقاء، والساعاتُ تَنقُلُنا والأيامُ تَطوِي أعمارَنا، فكيف يألفُ قلبٌ ما لا ثباتَ له، وكيف تنام عينٌ لا تدري لعلها لا تطرِفُ بعد رَقدَتها إلا بين يدي اللّه! والسلام.

● عيون الأخبار لابن قتيبة

من نوادر القضاة

أتى عدي بن أرطاة شريحاً القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها إليه، فلما جلس عدي بين يدي شريح، قال عدي: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إني امرؤ من أهل الشام، قال: بعيد الدار. قال: وإني قدمت العراق، قال: خير مقدم. قال: وتزوجت هذه المرأة، قال: بالرفاء والبنين. قال: وإنها ولدت غلاماً، قال: ليهنك الفارس. قال: وقد أردت أن أنقلها إلى داري، قال: المرء أحق بأهله. قال: كنت شرطت لها دارها، قال: الشرط أملك. قال: اقض بيننا، قال: قد فعلت. قال: فعلى من قضيت؟ قال: على ابن أمك.

● نهاية الأرب للنويري

الدستور الجديد وسؤال الهوية

عبد الرحمن غربي

لقد عرف المغرب، كغيره من الدول العربية، حراكا سياسيا وشعبيا قويا، مطالبا بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وسياسية.

هذا التحرك الشعبي أفضى إلى تشكيل لجنة وطنية تكفلت بوضع دستور جديد للبلاد.

وجدير بالذكر أن المغرب أقر دستوره الأول بعد الاستقلال سنة 1962، وأدخل عليه تعديلات سنوات 1970 و 1972 و1980 و 1992و 1996.

ويمكن القول إن الدستور الجديد (2011) هو الدستور الثاني للبلاد بعد دستور 1962، باعتبار التغييرات الوازنة التي طالت فصوله، والتعديلات الكبرى التي همت توزيع السلطات والصلاحيات داخل دواليب الدولة.

فبعد ثلاثة أشهر من المشاورات والنقاشات، تم عرض الوثيقة الدستورية النهائية، على استفتاء شعبي يوم الجمعة فاتح يوليوز الجاري(2011).

وبصرف النظر عن نسبة المشاركة، أو نسبة المصوتين لصالح الدستور، ونسبة المعارضين له، أو نسبة المقاطعين للتصويت، فإن السجال احتد بالخصوص، حول مسألة هوية الدولة المغربية، ومجال انتمائها، وكذا المرجعية التي تستقي منها تشريعاتها.

والواقع، أن هذا النقاش حول الهوية والمرجعية، هو نقاش قائم لدى فئة محدودة من "النخبة" التي لا تمثل إلا نفسها، بحيث هي فئة معزولة عن الشعب المغربي الذي حسم أمر هويته منذ قرون، فهو شعب مسلم، وأرضه أرض إسلامية، والبلاد جزء من العالم الإسلامي.

ومما يثلج الصدر، أن الدستور الجديد الذي صوت عليه المغاربة بالإجماع، حافظ على التكريس الدستوري للهوية العربية والإسلامية للبلاد.

وهكذا، جاء في تصدير الدستور صيغة : "المملكة المغربية دولة إسلامية".

وتم تأكيد ذلك مرة ثانية ودائما في التصدير : "أن الهوية المغربية تتميز بتبوؤ الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها".

كما ذكرت الهوية العربية والإسلامية مرة ثالثة في التصدير، بصيغة : "تعميق أواصر الانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية".

إن هذا التأكيد على الانتماء الإسلامي للمغرب والمغاربة، في تصدير الدستور الجديد، هو انتصار للحق والمنطق والواقع، ذلك أن إسلامية الدولة المغربية، هو في الواقع من قبيل تحصيل الحاصل، لأن الشعب المغربي لم ولن يقبل أي مرجعية أو تعديل لهويته العربية والإسلامية الثابتة.

ومما تداولته الأخبار في الساعات الأخيرة لميلاد الدستور الجديد، أن اللجنة المكلفة أقرت بأن المغرب دولة مدنية، وتم حذف صيغة الدولة الإسلامية، ولولا ضغط بعض القوى الحية والغيورة على ثوابت الأمة "لكان هذا الدستور سببا في كارثة كبرى"(1). لأنه مهما تغيرت القوانين الوضعية وتعدلت، فإن المرجعية الإسلامية ينبغي أن تبقى ثابتة ولا يلحقها التعديل، لأن في ذلك تهديدا للاستقرار.

كذلك من الصيغ التي تم حذفها في اللحظات الأخيرة، وهي مرتبطة بمسألة الهوية، قضية حرية المعتقد مع أن "حرية المعتقد محققة على أرض الواقع بالمغرب، لكن التنصيص عليها في الدستور كان من أجل الترويج لها وإغراء الناس بها"(2). وهو ما كان سيمثل خطورة كبرى على تدين الناس وعزتهم بانتمائهم الإسلامي.

ولقد أقر الدستور الجديد في فصله الأول كذلك : "تستند الأمة في حياتها العامة على ثوابت جامعة، تتمثل في الدين الإسلامي السمح" وهو تأكيد جديد على أن مسألة الدين الإسلامي، في صلتها بصيانة وحدة الأمة أمر لا محيد عنه، وغير قابل للنقاش مهما نعق الناعقون.

بل إن إسلامية الهوية ستتعزز أكثر في الفصل الثالث من الدستور والذي جاء على الشكل التالي : "الإسلام دين الدولة".

إن هذا التأكيد المتكرر على مسألة الهوية الإسلامية في أسمى قانون وضعي يحدد ويقيد طبيعة النظام العام الذي ينبغي أن يسود في البلاد، لما في ذلك من مصلحة عامة للأمة. يبين بجلاء مدى رسوخ هذه الهوية، وعمق مكانتها في التاريخ المغربي.

ومن تجليات انتصار الهوية الإسلامية كذلك ما نجده في الفصل 32 من الدستور والذي أكد على أن "الأسرة القائمة على علاقة الزواج الشرعي هي الخلية الأساسية للمجتمع"، وهو جواب قوي وحاسم ضد الأصوات النشاز التي تحاول شرعنة بعض السلوكات المشينة والمرفوضة مجتمعيا قبل أن ترفض قانونيا.

حيث أقر الدستور الجديد أنه لا مجال لتشكيل أي أسرة إلا في الإطار الشرعي الإسلامي.

ومن ناحية أخرى، فإن إقرار الدستور الجديد للغة العربية، لغة رسمية للبلاد، في الفصل الخامس الذي جاء بصيغة : "تظل اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة، وتعمل الدولة على حمايتها وتطويرها، وتنمية استعمالها" فيه اعتراف بأولوية اللغة العربية، وبأنها لا تنفصل عن مسألة الهوية الإسلامية، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾، ورسول هذه الأمة محمد ﷺ عربي تحدث العربية، وبلغ الرسالة بالعربية، وكلامه ﷺ المثبوث في السنة، فيه من بلاغة التعبير، وفصاحة القول، ما يؤكد على متانة لسانه العربي.

واضح إذن ارتباط اللغة العربية بالإسلام، وارتباطها بهوية الأمة، فقد أثر عن ابن تيمية قوله : إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية".

كما أن الإمام الشافعي قال : "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب".

إن أهمية اللغة العربية تكمن في كونها تعد من مقومات الوحدة الإسلامية، وبذلك فهي ضمانة أساسية للوحدة والاستقرار التي يقابلهما التشتت والفتن الطائفية.

إن المأمول أن يتم تفعيل دور اللغة العربية، في مختلف مجالات الحياة العلمية والعملية، فينبغي أن تكون المعاملات والوثائق الإدارية محررة باللغة العربية، وينبغي أن تتم دراسة العلوم العصرية كالرياضيات والطب والفيزياء باللغة العربية، وينبغي كذلك أن يكون إعلامنا عربيا وينتصر للعربية في إطار حفظ وحدة الأمة وهويتها الإسلامية.

إن الدستور الجديد كقانون وضعي، لا يمكن وحده أن يضمن صيانة الهوية الإسلامية ما لم تتضافر الجهود إلى تفعيلها، كما لا يمكنه أن يغير من ثبات ورسوخ الشرعية الإسلامية للشعب المغربي ولو أصر على ذلك من أصر لأن هوية المغاربة ثابتة. لذلك لا بد من أن يتبع إقرار هذا الدستور الجديد خطوات عملية ومستعجلة، من شأنها حماية البلاد من أي منزلقات خطيرة. وأولى مداخل هذه الخطوات، القيام بإصلاحات أساسية في مجال التعليم بشكل يتوافق مع تثبيت الهوية العربية والإسلامية في مقرراته. وبرامجه. أما ثاني الخطوات، فهي إصلاح منظومة الإعلام، وجعلها وسيلة لحماية الهوية الإسلامية للشعب المغربي، ومنبرا للدفاع عن الانتماء العربي والإسلامي للبلاد.

1- مصطفى العلوي - الأسبوع ع 648
2- أحمد الريسوني - أخبار اليوم ع 484.

رسائل جامعية

نوقشت يوم الإثنين 9 شعبان 1432هـ/ 11 يوليوز 2011م بقاعة المحاضرات بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب سايس -فاس أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية وحدة فقه الأموال في موضوع :

"نظرية الأجل في المعاملات المالية" تقدم بها الباحث عمر الدريسي وتكونت اللجنة من د. الجيلالي المريني مشرفا ومقرراً، ود. عبد الله معصر رئيسا، ود. عبد الرزاق الجايي ود. عبد الحق يدير أعضاءاً.

وبعد المناقشة قررت اللجنة منح الباحث ميزة **مشرف جداً مع التوصية بالطبع**.

فهنيئا للدكتورعمر الدريسي ومزيدا من العطاء.

بِنَبْضِ القلب

الجذور

"...إني لا أخشى هبوب الرياح على بيتي
ولا أحب إحكام غلق نوافذي
بل أريد أن تهب على بيتي رياح
ثقافة كل أرض، وتعصف
حوله بكل حرية، لكن من غير
أن تقتلع جذوري..." (غاندي)

من قدر أي شعب أن ينفتح على باقي الشعوب وأن يمتح من شتى الثقافات، تلك هي سنة التدافع التي لا يمكن لأمة أن تتحاشاها إن أرادت أن تجعل لها مكانا بين الأمم، وأن تُمكن لهويتها وثقافتها، وإلا أصبحت مجرد رقم على خريطة الكون... العيب ليس في الانفتاح والتلاقح، وتداول الأفكار والمدارك العلمية، بل العيب كل العيب أن ينسلخ المرء من جلده ويلبس جلد الآخر، أو أن يحشر نفسه في مقعد لا يناسب جسمه وبدل أن يبحث له عن المقعد الملائم، نجده يضغط على حجمه ليحشره قسرا في ذلك الحيز الضيق.

لقد حاول أتاتورك حشر تركيا في بوتقة علمانية متطرفة، وأن يغير كتابة لغتها ولباس أهلها، لكنه لم يفطن إلى مكنون القيم التي راكمها الأتراك خلال مسيرتهم الحضارية، والتي ظلت بمثابة الجذور الممسكة بتلابيب التربة، والتي من خلالها ظلت شجرة القيم تحافظ على جذوتها وخضرتها فكلما ظل الغصن ملتصقا بجذع الشجرة، بقي محافظا على اخضراره مهما هبت رياح التغيير، لأن هذه الرياح تصبح مساعدة على البقاء بفعل حبوب اللقاح التي تحملها للغصن وللنبتة، لكنها غير قادرة على اجتثاث الغصن المتشبث بالأصل، وما أجمل ما قاله شاعر وفيلسوف الإسلام محمد إقبال رحمه الله في هذا الشأن :

الغصن الذي انفصل عن الشجرة
لا يمكنه أن يورق رغم قدوم الربيع
ذلك قانون الزمان..
فإذا ما داهمك الذبول
احرص أن تبقى ملتصقا بالشجرة...
وضع أملك في الربيع

ذ. أحمد الأشهب

مرآة رمضان

أ. د. عماد الدين خليل

يمكن اعتبار "رمضان" إحدى المرايا التي تعكس بعمق المنظور الإسلامي للحياة والوجود.. فإذا كانت الصلاة تمثل المحطة اليومية لعبادة الله سبحانه.. وإذا كان الحج يمثل محطة العمر.. فإن رمضان يمثل المحطة السنوية لممارسة عبادة قلّ نظيرها بين العبادات، وهي العبادة الوحيدة التي لا تحتمل أي قدر من الرياء على الإطلاق. فلن يمتنع مسلم ما عن الطعام والشراب يوماً بكامله إلاّ أن يكون عمله ممحّضاً لله سبحانه، ذلك أن فرص خرق هذا الالتزام أو الحرمان، مفتوحة لكل من يريد. بعيداً عن الأنظار.. أو تحت غطاء ادّعاء المرض.. ولهذا قال الله سبحانه في حديث قدسي: «كل عمل ابن آدم له إلاّ الصوم فإنه لي وأنا الذي أجزي به».

والصوم كأيّة عبادة إسلامية يحقّق أهدافاً عديدة، كما هو معروف، وتلتقي فيه الرياضة الجسدية بالرياضتين العقلية والروحية.. والفردي بالجماعي.

هذا إلى أن الصوم يحقّق، كأية عبادة إسلامية كذلك، خير الدنيا والآخرة، فثوابه عند الله سبحانه كبير، وهو في الوقت نفسه تتمخّض عنه فوائد صحّية عديدة فيما تحدّث عنه المختصّون بالطب فأطالوا الحديث.

ففي أية ممارسة إسلامية يلتقي بتوافق مدهش كل ما ينفع الإنسان نفسه على كل المستويات العقلية والروحية والجسدية. كما يلتقي الأخروي بالدنيوي، والسماء بالأرض، والخالد بالفاني، والفردي بالجماعي فيما لم يشهده أي دين آخر أو مذهب وضعي على الإطلاق.

وثمة توافق آخر في هذا الشهر المتّميز: ذلك اللقاء الحميم والنادر، بين الجدّ في أعلى وتائره، وبين الفرح والترفيه في صيغهما المتنوّعة، والمنضبطة.. أليس هو حلقة من حلقات الدين الذي يعمل تحت شعار: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"؟ أليس الصائمون هم تلامذة وأتباع الرسول المعلّم ﷺ القائل "روّحوا عن أنفسكم ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلّت عميت؟". أليس الصيام ممارسة تعبدية في سياق دين يطلب من أتباعه التزّين عند كل مسجد، والاستمتاع بطيبّات الحياة الدنيا؟: ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبّات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾.. ثم ألم يعد الرسول ﷺ الصائم بفرحتين إحداهما عند الإفطار والأخرى عند لقاء الله؟

وبمرور الوقت انبثقت عن هذا التوافق الفريد بين الجّد والترفيه، جملة من الممارسات والتقاليد الاجتماعية والشعبية على مدى ديار العالم الإسلامي، منحت رمضان نكهة خاصة وجعلته يرتبط في ذاكرة المسلمين بالكثير من ممارسات الفرح واللعب والبهجة والترويح والأناشيد والأهازيج.. فضلاً عن تبادل الولائم والهدايا والزيارات.

صحيح أن الإسلام يعتبر الحياة الدنيا رحلة عابرة، ولكنه يجعلها رحلة طيبة مترعة بالتوافق والانسجام والفرح والسعادة.. ويجيء رمضان لكي يعكس كالمرآة الصافية هذا كلّه.

وثمة في ذاكرة المسلمين شيء آخر مما يعكسه هذا الشهر الكريم.. تلك الانتصارات الكبيرة التي حققها الآباء والأجداد في رمضان عبر تاريخ الأمة المشرق.. وهي كثيرة جداً ويكفي التأشير على أهمّها مثل: نزول الوحي الأمين، ومعركة بدر في السنة الثانية للهجرة، وفتح مكة في السنة الثامنة، والعودة من غزوة تبوك في السنة التاسعة، وفتح الأندلس في سنة 92هـ، وفتح عمورية في سنة 221 هـ، ومعركة الزلاّقة في الأندلس سنة 479هـ، ومعركة عين جالوت التي هزم فيها المغول سنة 658 هـ، والعبور الكبير إلى سيناء في العاشر من رمضان سنة 1973م.

حلاق في المسجد..!

عبد الحميد الرازي

هل أتى على الأمة حين من الدهر كان أبناؤها يولون الصلاة كل ما لها من حق، كانوا إذا سمعوا النداء تنكروا لكل شيء سوى الله عز وجل، كانوا يكبرون الله تعالى في قلوبهم حتى يصغر ما سواه، وكان أحدهم في عمله إذا سمع النداء وضع ما بيديه دون أن يُتم ما كان فيه من شغل، ودون تردد، أسوته في ذلك رسول الله ﷺ كما تحكي أمنا عائشة رضي الله عنها : «كان النبي ﷺ يحدثنا ونحدثه، ويلاعبنا ونلاعبه فإذا حضرت الصلاة، كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه»، هكذا كان ﷺ وهكذا كان أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان، ولقد كانوا كذلك لأنهم علموا علم يقين أن أرزاقهم في السماء لا يأخذها غيرهم فاطمأنت قلوبهم ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون. فورب السماء والارض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون﴾.

ودارت الأيام واستولت الدنيا على القلوب وشغل الناس بتجاراتهم وأعمالهم حتى أُفْرِغَت المساجد من عمارها، وقل روادها، واشتكت إلى ربها قلة زوارها،

ولكن... للبيت رب يحميه، والله بالغ أمره. وسيبلغ دين الله ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز أو بذل ذليل، وإن الزمان قد استدار كهيأته يوم كان المسلمون يهتمون بالصلاة وبعمارة المساجد وأصبحنا نرى من يترك تجارته وعمله وأولاده ملبيا داعي الله : حي على الصلاة!حي على الفلاح!

والنموذج اليوم : حلاق علق على الواجهة الزجاجية للمحل لافتة صغيرة مكتوب عليها عبارة : «في المسجد» لتدل على أن الأمة بخير وأن عودتها إلى منهاج النبوة قريبة إن شاء الله تعالى.

قد يقول قائل : ما الجديد في الأمر؟ فكثيرون هم الذين يعلقون هذه العبارة على أبواب المحلات، وكثيرون هم الذين يهرعون إلى الصلاة حال سماع الأذان.

ولكن الجديد هو ما شاهدته في باب الحلاق وقد أغلق بابه متوجهاً إلى ربه راجيا ما عنده مخلفاً الدنيا وراءه، قاصداً المسجد لأداء صلاة المغرب، وفي الوقت الذي اشتغل كثير من الحلاقين بدنياهم، افترشت امرأة الأرض في باب الحلاق ومعها ولداها، ظننتها وأنا في طريقي إلى المسجد متسولة. ولكن عند عودتي علمت أن في جيبها رزق الحلاق، فقد كانت تنتظره حتى يعود من المسجد ليحلق لوليديها... فمن الذي جعلها تفترش الأرض؟ ومن الذي جعلها تنتظر حوالي نصف ساعة؟ ومن الذي منعها من التوجه إلى حلاق آخر؟ إنه الله، إنه الرزاق ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾.

بارقة

رمضان شهر التقوى

أ.د. عبد السلام الهراس

رمضان اسم شهر وضعه العرب علامة تميزه عن الشهور الأخرى ويقول اللغوي ابن دريد معلّلاً تلك التسمية "لما نقَلَ العرب أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي هي فيها فوافق رمضان أيام رَمَضِ الحَرِّ وشدته فَسُمِّيَ به".

إذن جاء رمضان من الأصل اللغوي وهو : الرَّمَضُ والرمضاء : شدة الحر، وحرُّ الحجارة من شدة حرِّ الشمس، ورمضَ يومنا اشتد حرُّه، وأرمض الحرُّ القوم اشْتَدّ عليهم، ورمَضَ الرَّجُلُ يَرْمَضُ رَمَضاً إذا احترقت قدماه في شدة الحرِّ.

وهناك علاقة بين رمضان والصوم، إذ الصائم يعاني حرارة الجوع والعطش وحرارة الضغوط النفسية وإغراءات الأهواء وهو يمسك لسانه ويغض بصره ويكظم غيظه ويحمي سمعه ويصبر على الأذى ويتذرع بالحلم ويلتجئ إلى العفو لا يجاري سفه السفيه ولا عدوان المعتدي ولا سُبَابَ السّابِّ ولا شتم الشاتم ليس له من جواب على ذلك إلا قوله : اللهمّ إني صائم، يصرح بها أو يعبر عنها بالإعراض عما يواجهه من كيد النفس ومكر النفس الأمارة بالسوء متيقنا أن العاقبة للتقوى.

وهكذا ينبغي للمؤمن الذي صام رمضان حق صيامه أن يعيش بقية الشهور مالكاً لنفسه مسيطراً على أهوائه متسامياً على مكر الشيطان وأوليائه ضابطاً لانفعالاته متوكلا على الله حق توكله متيقنا أن العاقبة للمتقين وأن جند الله هم الغالبون.

إن الصائم الناجح هو الذي يستمر في شهور الإفطار كأنه في رمضان بأن يكون مالكا لإرادته ضابطاً لأهوائه وشهواته يتصرف وفق الشرع والتعقل والرزانة والحكمة، باذلاً ماله في سبيل الله وفي ميادين الخير ووجوه البر بعيداً عن أقوال الزور وأفعاله ومسالكه وأوساطه.. إن ظاهرة الزور قولا أو فعلا أو مشاهدة أو حضوراً أو تشجيعاً أو رضًى تختفي من المجتمع المسلم الصائم ولاسيما في رمضان، ومن أكبر مظاهر الزور بهت الناس وقذفهم واغتيابهم وظلمهم وغمط حقوقهم، لأن الانحراف الخلقي هو من أهم الأسباب الحاملة على اجتراح الزور وارتكاب الظلم.. وبما أن الشتم والغيبة والنميمة وقول الزور والعمل به وغير ذلك من الموبقات والمآثم مفسدة لحقيقة الصوم سالبة عن صاحبه فضيلته فكذلك كل سلوك يصدر عن الصائم منحرف من كبائر الذنوب وصغائرها إذا أدمن عليها..

ومن ذلك "الظلم" فإنه مخالف لمقتضيات الصوم، فالظالم مهما صام ومهما قام ومهما تصدق وزكى فإن عبادته تلك ليس لها من حسنات ولا من حسن جزاء، ليس لها ثمرتها المباركة، وإنما هي ثمرات خبيثة قبيحة لأن شجرتها خبيثة قبيحة والخُبثُ لا يثمر إلا خبثا والقبيح لا ينتج إلا قبحاً..

إن سيادة العدل بين الأفراد وخلال المجتمعات دليل على أن الصوم وباقي العبادات كانت صحيحة سليمة مقبولة.

وإن روح التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وبالمرحمة والمغفرة والتسامح دليل على أن العبادة قد أدِّيتْ على أحسن وجوهها وأجمل أحوالها وأكمل أحكامها..

إنك تستطيع أن تفرق بين المجتمع الصائم والمجتمع غير الصائم في رمضان وفي غير رمضان وذلك من خلال سلوك الأفراد وعلاقاتهم بغيرهم من المسلمين وغير المسلمين ومن خلال ممارسة المسؤوليات وأداء الواجبات..

ومادامت أحوال المسلمين كما ترون، وما دامت أخلاقهم كما ترون ومادام الإخلال بمسؤولياتهم كما ترون ومادامت علاقاتهم فيما بينهم ومع غيرهم كما ترون، فليس لله حاجة في أن يتركوا طعامهم وشرابهم لأن غاية الصوم ومقصده الأسمى : ﴿كُتب عليكم الصّيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾.

﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم مُحسنُون﴾

فاللهم اجعلنا من الصائمين الفائزين بالتقوى وبالإحسان. آمين.